

جهود العباسيين في بناء المدن الثغرية وتحصينها خلال العصر العباسي الأول

الدكتور محمد بن سليمان الراجحي *

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن سار على دربه واهتدى بهديه إلى يوم الدين ..
عني المسلمون منذ عهود مبكرة بالبناء والعمران . وشيدوا عشرات المدن والقرى في مختلف البلدان . وكانت جهودهم في هذا الميدان تسير جنباً إلى جنب مع انطلاقتهم الواسعة في الفتح ونشر الإسلام . فكان الفاتحون المسلمون يُنشئون المدن والقرى في أثناء مسيرهم نحو المشرق و المغرب ؛ وذلك لتثبيت الوجود الإسلامي وترسيخه في المناطق المفتوحة من ناحية ، ولتكون لهم مستقراً وموطئاً يعودون إليه في أثناء الفتوحات من ناحية أخرى ، كما كان الحال بالنسبة للبصرة والكوفة والفسطاط والقيروان ، وغيرها .

- * بكالوريوس في التاريخ من كلية العلوم العربية والاجتماعية بالقصيم - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٠٤هـ .
- ماجستير في التاريخ الإسلامي من كلية العلوم الاجتماعية بالرياض - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٠٨هـ .
- دكتوراه في التاريخ الإسلامي من كلية العلوم الاجتماعية بالرياض - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤١٤هـ .
- يعمل الآن عضو هيئة التدريس في كلية العلوم العربية والاجتماعية بالقصيم .

وحينما بلغت الدولة الإسلامية أقصى اتساعها ، واستقرت أركانها ، وأضحت لها حدودٌ جغرافيةٌ مشتركةٌ مع دول وقوى مناورة ، صار لزماً أن تُعنى بحماية أطرافها ، وأن تبذل غاية جهدها في تثبيت الوجود الإسلامي وترسيخه في أراضيها النائية المتاخمة لتلك القوى ؛ ومن ثم حرص الخلفاء وولاتهم على تشييد العديد من المدن الثغرية وتحصينها ، وإعادة إعمار ما تلف منها ، فصارت مراكز يربط فيها الجند المسلمون ، ودروعاً تحمي البلاد الإسلامية من غارات الأعداء .

ولقد بذل الخلفاء الأمويون جهوداً ملموسةً في بناء عدد من المدن الثغرية وتحصينها ، وبخاصة في مناطق الثغور الشامية والجزرية المتاخمة لبلاد الروم البيزنطيين ، ومن تلك المدن: "أنطوطوس" و"بلنّياس" و"مرعش" و"جبلة" و"سلوقية" و"ملطية" و"قيسارية" و"المصيصة" و"اللاذقية" وغيرها^(١) .

ولم يكن العباسيون أقلّ اهتماماً من أسلافهم الأمويين ببناء المدن الثغرية وتحصينها ، بل يمكن القول إنهم فاقوهم في هذا الميدان ، ولا غرو فالدولة العباسية تميّزت بالعناية بالجوانب الحضارية ، وفي مقدّمة ذلك البناء وال عمران ، وبخاصة في عصرها الأوّل .. هذا فضلاً عن أنّ ما شهدته العصر العباسي من فتور في ميدان الفتوح وتوجيه الحملات العسكرية ، قد دفع الخلفاء وولاتهم إلى الاهتمام ببناء المدن الثغرية والعناية بها ؛ لتكون قادرةً على درء خطر بعض القوى المجاورة ، والتي كانت ترى في جنوح العباسيين إلى السلم في بعض الفترات فرصةً لها للقيام بغزوات مضادة صوب الأراضي الإسلامية .

وهذا البحث هو دراسة تاريخية لجهود العباسيين في بناء المدن الثغرية وتحصينها في فترة محدّدة هي العصر العباسي الأوّل (١٣٢ - ٢٣٢هـ / ٧٤٩ - ٨٤٦م) ، والذي

(١) عن بناء هذه المدن في العصر الأموي انظر : (البلاذري : فتوح البلدان ؛ تحقيق : رضوان محمد رضوان - بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ، ص١٣٩ ، ١٤٨ ، ١٥٣ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ١٩٣ . قدامة بن جعفر : الخراج وصناعة الكتابة ؛ تحقيق : محمد حسين الزبيدي - بغداد : دار الرشيد ، ١٩٨١م ، ص٢٩٨ ، ٣٠٧ ، ٣١٨ ، ٣٩١ . ياقوت الحموي : معجم البلدان - بيروت : دار صادر ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ج١ ، ص٢٧٠ ، ٢٧١ ، ١٠٥) .

يُعدّ من أزهى عصور الدولة الإسلامية في ميدان البناء والعمران ، حيث شيّد العباسيون خلاله عشرات المدن ، في مناطق الثغور الشامية ، والجزرية ، والأرمينية ، وفي بلاد المشرق الإسلامي ، وفي الشمال الأفريقي ، على شاطئ البحر المتوسط ..

على أنّ هذا البحث لا يشمل جميع الجوانب المتعلقة ببناء المدن الثغرية ، مثل : طرق البناء وأساليبه وأدواته ، وخطط البلدان ونحوها .. وإنما يختصّ بإبراز ما قام به العباسيون في تلك الفترة من جهود في تشييد تلك المدن ، أو إعادة بناء ما تعرّض منها لعداوي الزمن ، أو ما كان عرضةً لهجمات بعض القوى المجاورة للبلاد الإسلامية ، وما بذلوه من عناية واهتمام من أجل تحصينها ومنعتها ..

ومن اللافت للنظر أنّ مصطلح «البناء» للمدن والقرى - سواءً الثغرية أو غيرها - هو السائد عند جمهرة المؤرخين والبلدانيين المسلمين في مختلف العصور الإسلامية ، مثل «البلاذري» ، و«قدامة بن جعفر» ، و«ياقوت الحموي» ، و«ابن الأثير» ، وغيرهم .. وهو أكثر استخداماً في المصادر من مصطلح «التعمير» أو «الإنشاء» أو «التأسيس» ، فكثيراً ما نجد عند المؤرخين عبارة «.. بنى مدينة كذا ...» ، وقلّما نقف على عبارة تقول «.. عمّر ، أو أنشأ ، أو أسّس مدينة كذا ...» ، ولعلّ ذلك يُعزى إلى أنّ معظم المدن كان يتمّ بناؤها أو تجديد بنائها دفعةً واحدةً برمتها ، وليس عمران جانب منها أو ترميمها أو تطويرها ؛ ولذا يُعبّر المؤرخون عن ذلك بـ «البناء» ..

تعريف الثغور وأقسامها :

«الثَّغْرُ» - كما يُعرّفه «ياقوت الحموي» - هو «كلّ موضع قريب من أرض العدو... كأنّه مأخوذ من الثَّغرة ، وهي الفرجة في الحائط»^(١) . بينما يقول «ابن منظور» بأنّ الثغر هو «كلّ فرجة في جبل أو بطن واد أو طريق مسلك» ، وهو أيضاً «مايلي دار الحرب» ، وهو كذلك «الموضع الذي يكون حداً فاصلاً بين بلاد المسلمين والكفار» و«موضع

(١) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٧٩ .

المخافة من أطراف البلاد». ويطلق أيضاً على «الثُلثة»، ولذا يُقال للموضع الذي يُخشى أن يأتي العدو منه في جبل أو حصن «ثغر»؛ لانثلامه وإمكان دخول العدو منه^(١). وتنقسم الثغور الإسلامية - عند جمهرة المؤرخين والجغرافيين المسلمين - إلى قسمين: ثغور شامية، وثغور جزرية، وتُقسمها على هذا النحو "البلاذري"^(٢)، و"ابن خرداذبة"^(٣)، و"الإصطخري"^(٤)، و"ابن حوقل"^(٥)، و"أبو عبيد البكري"^(٦)، و"ابن العديم"^(٧). على أن بعض الجغرافيين يُشير إلى أن معظم الثغور الجزرية تقع ضمن الإطار الجغرافي لبلاد الشام، وليس ضمن إقليم الجزيرة الفراتية، ولكنها اشتهرت - مع ذلك - باسم الثغور الجزرية؛ لأن أهل الجزيرة كانوا يُربطون فيها، ومنها يغزون. يقول الجغرافي "الإصطخري" مبيّناً ذلك: «وبعض الثغور تُعرف بثغور الشام، وبعضها تُعرف بثغور الجزيرة، وكلاهما من الشام، وذلك أن كل ما وراء الفرات من الشام، وإنما سُمي من مَلْطِيَّة إلى مَرْعَش ثغور الجزيرة؛ لأن أهل الجزيرة بها يربطون وبها يغزون، لا أنها من الجزيرة»^(٨). ولذا نجد بعض البلدانين المسلمين يتحدثون عن الثغور الجزرية، في أثناء حديثهم عن بلاد الشام، وليس عند حديثهم عن إقليم الجزيرة^(٩).

- (١) ابن منظور: لسان العرب - بيروت: دار صادر، ج ٤، ص ١٠٣، ١٠٤، وانظر أيضاً: الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس: تحقيق: علي شيري - بيروت: دار الفكر، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ج ٦، ص ١٤٦.
- (٢) فتوح البلدان، ص ١٦٨ وما بعدها، ١٨٧ وما بعدها.
- (٣) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ليدن، ١٨٨٩م، ص ٩٧، ٩٩.
- (٤) الإصطخري: المسالك والممالك: تحقيق: محمد جابر عبد العال الحيني - القاهرة، ١٣٨١هـ / ١٩٦١م، ص ٤٣.
- (٥) كتاب صورة الأرض - بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٧٩م، ص ١٥٤.
- (٦) البكري: المسالك والممالك: تحقيق: أدريان فان ليوفن، وأندري فيري - تونس: الدار العربية للكتاب، ١٩٩٢م، ج ١، ص ٤٩٨.
- (٧) بغية الطلب في تاريخ حلب: تحقيق: سهيل زكار - بيروت: دار الفكر، ج ١، ص ٢٣٤.
- (٨) الإصطخري: المسالك والممالك، ص ٤٣، وانظر أيضاً: ابن حوقل: كتاب صورة الأرض، ص ١٥٤.
- (٩) انظر - على سبيل المثال (الإصطخري: المصدر السابق، ص ٤٦، ٤٧، ابن حوقل: المصدر السابق، ص ١٦٦، ١٦٧).

ويُورد "قدامة بن جعفر" في كتابه «الخراج» تقسيماً أكثر تفصيلاً للثغور الإسلامية، فيجعلها ثلاثة أقسام : برية مواجهة لبلاد العدو (أي الروم) من ناحية البر فقط ، وبحرية، تواجهه من ناحية البحر فحسب ، والثالثة يجتمع فيها الأمان ، فهي برية بحرية ، يُحارب المرباطون فيها الأعداء عن طريق البر والبحر^(١) .

ثم يُقسّم "قدامة" الثغور تقسيماً مفصلاً إلى أربعة أقسام : شامية ، وجزيرة ، وبكرية (نسبة إلى ديار بكر) ، وبحرية ..

فالثغور الشامية : طرسوس ، وأذنة ، والمصيصة ، وعين زربة^(٢) ، والكنيسة السوداء ، والهارونية ، وبياس .

والثغور الجزرية : مرعش ، والحديث ، وزبطرة ، وكيسوم ، وحصن منصور ، وملطية .
والثغور البكرية : سُميساط ، وحاني ، وملكين ، ويجعل "قدامة" قاليقلا من الثغور البكرية أيضاً ، رغم أنها تقع في أرمنيّة ، فقد عدها "البلاذري" من الثغور الأرمنيّة ، كما نصّ "ياقوت الحموي" على أنها من مدن أرمنيّة .

والثغور البحرية : أنطرسوس ، وبلنياس ، واللاذقية ، وجبلة ، وعرقه ، وطرابلس ، وجبيل ، وبيروت ، وصيدا ، وصور ، وعكا ، وقيسارية ، ويافا ، وعسقلان ، وغزة ، ورفح ، والفرما ، والعريش^(٣) .

وغني عن القول بأنّ هذا التقسيم الذي أورده "قدامة بن جعفر" ، أو الذي ساقه بعض البلدانين الآخرين للثغور الإسلامية ، إنّما هو خاصٌ بالجبهة المتاخمة لبلاد الروم

(١) قدامة بن جعفر : الخراج وصناعة الكتابة ، ص ١٨٥ .

(٢) ورد ذكر هذه المدينة عند "البلاذري" و "قدامة بن جعفر" و "ابن الفقيه الهمداني" ، وغيرهم من المؤرخين ، باسم «عين زربة» - بالتاء المربوطة - بينما ذكرها "ياقوت الحموي" باسم «عين زربي» - بالآلف المقصورة - انظر : (فتوح البلدان ، ص ١٧٥ ، الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٣١١ . مختصر كتاب البلدان - ١٠ ط - بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ، ص ١٠٩ . معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٧٧) . وهي تبعد عن مدينة "المصيصة" مسافة ثمانية عشر ميلاً . (ابن العديم : بغية الطلب ، ج ١ ، ص ١٦٧) .

(٣) قدامة بن جعفر : الخراج ، ص ١٨٦ - ١٨٨ .

فقط ، وذلك لكونها تحتوي على أهمّ الثغور وأشهرها ، وأكثرها نشاطاً في الميدان العسكري على امتداد العصور الإسلامية الأولى ..

ويمكن أن نضيف إلى هذه الأقسام مناطق الثغور الأخرى في الدولة الإسلامية ، مثل الثغور الأرمنيّة المطلة على بلاد الروم من ناحية وعلى منطقة القوقاز من ناحية أخرى ، وثغور المشرق التي تحفّ بها بلاد الديّلم ، والترك ، والسند ، وثغور الشمال الأفريقي المطلة على البحر المتوسط ، وثغور الأندلس ، وغيرها ..

بناء المدن الثغرية الشامية ونحسينها :

بناء "المصيصّة" وتجديدها في عهدَي "المنصور" و"المهدي" :

حظيت الثغور الشامية باهتمام كبير من جانب الخلفاء ، ونالت قدراً بيّناً من عنايتهم ، فكانوا - كما يقول "ياقوت" - «.. لا يولّونها إلاّ شجعان القوّاد والراغبين منهم في الجهاد»^(١) ، كما حرصوا على عمرانها وتحسينها ، وذلك لكونها تُشكّل درعاً واقياً للبلاد الإسلامية أمام الروم البيزنطيين ، وتُسهم في حمايتها من غاراتهم ..

وكان الخليفة العبّاسي الثاني "أبو جعفر المنصور" (١٣٦ - ١٥٨ هـ / ٧٥٣ - ٧٧٥ م) من أكثر الخلفاء اهتماماً ببناء المدن الثغرية وتحسينها في بلاد الشام ، فبعد مضيّ ثلاث سنوات من خلافته ، وتحديدأ في سنة ١٣٩ هـ / ٧٥٦ م أمر بعُمران مدينة "المصيصّة" - الواقعة في أطراف بلاد الشام ، بين "أنطاكية" وبلاد الروم^(٢) - وكانت هذه المدينة قد عُمّرت من قبل في العصر الأموي ، وذلك في أواخر أيّام الخليفة "عبد الملك ابن مروان" ، ولكنّها خربت بسبب مجاورتها للبلاد الرومية ، فلمّا تولّى "أبو جعفر المنصور" الخلافة شحنها بالجنود ، ثمّ أمر ببنائها في تلك السنة (١٣٩ هـ / ٧٥٦ م) «وكان حائطها قد تشعّث بالزلازل ، وأهلها قليلون في داخل المدينة ، فبنى سورها ، وسكنها أهلها في

(١) معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٨٠ .

(٢) عن موقع مدينة "المصيصّة" انظر : (ياقوت : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٤٥) .

سنة ١٤٠هـ ، وسَمَّاهَا المعمورة ، وبنى فيها مسجداً جامعاً^(١) .

وجاء في رواية أخرى أَنَّ "صالح بن علي بن عبد الله بن عباس"^(٢) - عمّ الخليفة "المنصور" - أرسل في مطلع العصر العباسي "جبريل بن يحيى البجلي"^(٣) إلى "المصيصَة" فعمَّرها ، وأسكنها الناس في سنة ١٤٠هـ / ٧٥٧م . وكان الروم قد ضيقوا على أهلها حتَّى جلّوا عنها^(٤) .

ويُشير " الطبري " إلى أَنَّ بناء مدينة " المصيصَة " اكتمل في سنة ١٤١هـ / ٧٥٨م ، يقول في هذا الصدد : «وفي هذه السنة (١٤١هـ) فرغ من بناء المصيصَة على يد جبرائيل ابن يحيى الخراساني»^(٥) . ولاتخالف رواية "الطبري" هذه ما جاء في الروايتين السابقتين ، إذْ يمكن القول - بناءً على ما ورد في هذه الروايات - إنَّ الخليفة "المنصور" أمر في سنة

(١) ياقوت : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٥٩ ، وانظر أيضاً : قدامة بن جعفر : الحراج وصناعة الكتابة ، ص ٣٠٨ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ -٠ بيروت : دار صادر ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ج ٥ ، ص ٥٠٠ - ٥٠١ ، ابن العديم : بغية الطلب في تاريخ حلب ، ج ١ ، ١٥٧ ، ابن شدَّاد : الأعلام الخطيرة في ذِكر أمراء الشام والجزيرة : تحقيق : يحيى زكرياً عبَّارة -٠ دمشق ، ١٩٩١م ، ج ١ ، القسم الثاني ، ص ١٤٦ ، النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب : تحقيق : محمد جابر عبد العال الحيني -٠ القاهرة ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ج ٢٢ ، ص ٨١ ، ابن الشحنة : الدرر المنتخب في تاريخ مملكة حلب -٠ دمشق : دار الكتاب العربي ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص ١٧٩ .

(٢) هو "صالح بن علي بن عبد الله بن عباس" ، عمّ الخليفين " السفَّاح " و "المنصور" ، من رجال الدولة العباسية الأوائل ، ولي على مصر في خلافة " السفَّاح " ، ثمّ ولي على الشام في أيَّام "المنصور" ، وهو الذي طارد "مروان بن محمد" - آخر خلفاء بني أمية - بعد هزيمته وفراره إلى مصر . توفي سنة ١٥١هـ ، وقيل ١٥٢هـ . انظر : (الذهبي : سير أعلام النبلاء : تحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخرين -٠ بيروت : مؤسسة الرسالة ، ج ٧ ، ص ١٨ - ١٩ ، الزركلي : الأعلام -٠ ط ٥ -٠ بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٠ ، ج ٣ ، ص ١٩٢-١٩٣) .

(٣) جبريل بن يحيى البجلي الخراساني : قائد من فوَّاد العباسيين في عهدَي الخليفين "المنصور" و "المهدي" ، شارك في عدد من الحملات العسكرية في منطقة المشرق الإسلامي ، وولّي على مدينة " سمرقند " في بلاد ما وراء النهر ، سنة ١٥٩هـ ، انظر أخباره في : (ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٥ ، ص ٥٠٠ ، ٥٧٧ ، ٥٩١ ، ج ٦ ، ص ٣٩ ، ٤١) .

(٤) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٧٠ - ١٧١ ، ابن العديم : بغية الطلب ، ج ١ ، ص ١٥٨ .

(٥) الطبري : تاريخ الأمم والملوك : تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم -٠ بيروت : دار سويدان ، ج ٧ ، ص ٥٠٩ .

١٣٩هـ ببناء مدينة " المصيصَة " فُبُنِيتْ ، وسكنها الناس في العام التالي ١٤٠هـ ، وفُرع من بنائها تماماً في سنة ١٤١هـ .

وقد ظلّ العباسيون يُولون اهتماماً كبيراً بتلك المدينة الثغرية ، ويحرصون على استمرار قوتها ومنعتها أمام الروم ، ولا أدلّ على ذلك من أنهم جدّدوا بناءها مرّة أخرى بعد مضيّ ربع قرن على بنائها السابق الذي تمّ في عهد الخليفة " المنصور " . فقد ذكرت بعض الروايات أنّه في سنة ١٦٥هـ / ٧٨١م - أي إبّان عهد الخليفة " المهدي " - جدّد ابنه " هارون الرشيد " بناء مدينة " المصيصَة " ، كما أعاد بناء مسجدها ، و « زاد في شحنتها وقوى أهلها » ، وكان والده قد وجّهه في تلك السنة على رأس جيش إلى بلاد الروم ^(١) .

ويبدو أنّ جهود العباسيين في بناء " المصيصَة " وتطويرها قد آتت ثمارها ، وحافظت تلك المدينة على شهرتها ومنعتها لفترةٍ طويلةٍ من الزمن ، وظلّت ذات شأن كبير في العهود التالية ، حيث وصفها الجغرافي " ابن حوقل " - في القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي - بأنها مدينةٌ « حَضْرَةٌ نَضْرَةٌ ، جليلة الأهل ، نفيسة القدر ، كثيرة الأسواق ، حسنة الأحوال » ^(٢) .

عناية العباسيين بالمدن المجاورة لشجر " المصيصَة " :

وفي سبيل المحافظة على حصانة مدينة " المصيصَة " وقوتها وصمودها أمام الروم ، انتهج العباسيون سياسة إعمار بعض الثغور الصغيرة المجاورة لها ، ففي سنة ١٨٠هـ / ٧٩٦م ، أمر الخليفة " الرشيد " ببناء مدينة " عين زُرّة " - القريبة من مدينة " المصيصَة " - كما أمر بتحسينها ، ووجّه إليها جمعاً من أهل خراسان وغيرهم « فأقطعهم بها المنازل » ^(٣) .

(١) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٧٢ ، ابن العديم : بغية الطلب ، ج ١ ، ص ١٥٩ .

(٢) ابن حوقل : كتاب صورة الأرض ، ص ١٦٨ .

(٣) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٧٥ ، قدامة بن جعفر : الخراج ، ص ٣١١ ، ابن الفقيه الهمداني : مختصر كتاب البلدان ، ص ١٠٩ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٦ ، ص ١٥٣ ، ابن العديم : بغية الطلب ، ج ١ ، ص ١٦٧ ، ابن شدّاد : الأعلام الخطيرة ، ج ١ ، القسم الثاني ، ص ١٥٧ ، ابن الشحنة : الدر المنخب ، ص ١٨٥ .

ويشير "ياقوت الحموي"^(١) إلى تعمير هذه المدينة في أيام الخليفة "الرشيد" ، ولكنه يذكر أن ذلك جرى في حدود سنة ١٩٠هـ ، على يد القائد العباسي "أبي سليم الخادم"^(٢) ، الذي كان قد ولي على الثغور في تلك الفترة من قبل "الرشيد" .

ومع أن الروايتين السابقتين تتفقان على أن بناء مدينة "عين زربة" قد جرى في عهد الخليفة "الرشيد" - وإن اختلفتا في تحديد السنة التي بُنيت فيها - إلا أن ثمة رواية ثالثة ساقها الجغرافي "الحميري" خالف فيها ما جاء في الروايتين المذكورتين . فقد أشار في روايته إلى أن تلك المدينة شُيّدت قبل عهد "الرشيد" ، وتحديدًا في عهد والده الخليفة "المهدي بن المنصور"^(٣) .

ويبدو أن ما ورد في الروايتين الأولىين هو الأقرب للصواب ؛ وذلك لاعتبارات عدة، منها أنه ورد لدى عدد من الجغرافيين والمؤرخين البارزين ، مثل "البلاذري" و "قدامة ابن جعفر" و "ابن الفقيه الهمداني" و "ياقوت الحموي" ، ومنها أيضاً أن بعض هؤلاء المؤرخين والجغرافيين عاش في فترة مبكرة نسبياً ، ولا سيما "البلاذري" الذي عاش في القرن الثالث الهجري ، و "قدامة" و "ابن الفقيه" اللذين عاشا في القرن الرابع . أما "الحميري" فقد عاش في فترة متأخرة نسبياً ، هذا فضلاً عن أن روايته جاءت مقتضبةً ، بينما جاءت روايات المؤرخين والجغرافيين الآخرين أكثر تفصيلاً .

وعلى مقربةٍ من مدينة " المصيصَة " أمر الخليفة "الرشيد" أيضاً ببناء مدينة تُسمى "الكنيسة السوداء"^(٤) - كما أمر بتحصينها ، ووجه إليها فوجاً من الجند ليرابطوا فيها ،

(١) معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٧٧ .

(٢) هو "أبو سليم فرج بن سليم" الملقّب بـ " الخادم " ، تركي الأصل ، كان خادماً للخليفة "الرشيد" ، فولّاه الثغور ، ثم أقرّه الخليفة " الأمين " على ولايته . انظر عنه : (البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٧٣ - ١٧٤ ، قدامة بن جعفر : الخراج ، ص ٣١٠ . ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٣٣) .

(٣) الروض المعطار في خبر الأقطار : تحقيق : إحسان عباس ، - ط ٢ - بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٨٤م ، ص ٤٢٢ .

(٤) انظر عن موقع هذه المدينة : (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٨٥) .

وزاد في عطائهم . وكان الروم قد عمروها في عصور مبكرة من حجارة سوداء فخريّة ، ولها حصنٌ قديمٌ خرب معها ، فأمر "الرشيد" بعمارتها وإعادةتها إلى ما كانت عليه من قبل^(١) . على أن بناء تلك المدينة في تلك الفترة لم يحل دون محاولة الروم غزوها ، فقد ذكرت بعض الروايات أنهم أغاروا عليها في أيام الخليفة "الرشيد" ، وأسروا عدداً من أهلها ؛ ولكن أهل مدينة "المصيصة" المجاورة لها ، طاردوا الروم ، وتمكّنوا من إلحاق الهزيمة بهم ، واستنقذوا من كان بأيديهم من الأسرى . وكان "القاسم بن الرشيد"^(٢) مقيماً حينذاك بـ "ذابق"^(٣) فوجّه رجالاً إلى مدينة "الكنيسة السوداء" ، قاموا بتحسينها وترميمها ، وزاد في عدد الجند المرابطين فيها^(٤) .

ولم يكن غريباً أن يهتم العباسيون ببناء المدينتين السابقتين (عين زربة ، والكنيسة السوداء) وتحسينهما وشحنهما بالمرابطين في ذلك العهد ، رغم أنهما لم تكونا من المدن الكبيرة المشهورة ، وذلك لتشكلاً مع مدينة "المصيصة" جبهة واحدة أمام الروم ، سيما وأنهما كانتا معرضتين لهجماتهم حينذاك ، شأنهما في ذلك شأن كثير من المدن الثغرية ؛ ولعل ما أشارت إليه بعض الروايات من أن الروم أغاروا على هاتين المدينتين في سنة ١٩٠ هـ / ٨٠٦ م^(٥) - فضلاً عن غارتهم السابقة - أبرز شاهد على ذلك .

ولم يقتصر اهتمام الخليفة "الرشيد" بالمدن الثغرية الصغيرة المجاورة لشجر "المصيصة"

(١) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٧٥ . قدامة بن جعفر : الخراج ، ص ٣١١ . ياقوت : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٨٥ . ابن العديم : بغية الطلب ، ج ١ ، ص ١٧٣ .

(٢) هو "القاسم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي" ، جعله أبوه ولياً للعهد بعد أخويه "الأمين" و "المأمون" ، ولقبه بـ «المؤمن» ، وذلك في سنة ١٨٩ هـ ، توفي في خلافة أخيه "المأمون" سنة ٢٠٨ هـ . (الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد - بيروت : دار الكتب العلمية ، ج ٢١ ، ص ٤٠٢) .

(٣) (ذائق) : قرية من قرى الشام ، على مقربة من مدينة "حلب" ، تبعد عنها - كما يقول "ياقوت" - مسافة أربعة فراسخ ، أي ما يعادل اثني عشر ميلاً . (معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤١٦) .

(٤) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٧٥ - ١٧٦ . ابن العديم : بغية الطلب ، ج ١ ، ص ١٧٤ .

(٥) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ص ٣٢٠ . ابن الأثير : الكامل ، ج ٦ ، ص ١٩٨ .

على بناء المدينتين السابقتين ، بل إنه جدد أيضاً بناء "كَفَرِيَّيَا" ، وهي مدينة محاذية لمدينة "المُصَيِّصَة" (١) . وقيل إنَّ تعميرها بدأ في عهد الخليفة "المهدي" ثمَّ غيَّر "الرشيد" بناءها وحصَّنَها بخندق ، وأمر ابنُه الخليفة "المأمون" ببناء سورٍ لها ، ولكنه توفي قبل اكتمال بنائه ، فأتمَّه الخليفة "المعتصم بالله" (٢) .

ويرى بعض البلدانِيِّين أنَّ "كَفَرِيَّيَا" لم تكن مدينةً مستقلةً بذاتها ، بل كانت جزءاً من مدينة "المُصَيِّصَة" . ويقول بعضهم إنَّ "المُصَيِّصَة" مدينتان ، يفصل بينهما نهرٌ عظيمٌ ، وهما على ضفَّتَيْهِ ، وبينهما قنطرةٌ من حجارة ، وتُسمَّى إحداها "المُصَيِّصَة" ، والأخرى "كَفَرِيَّيَا" (٣) .

بناء مدينة "أَذَنَة" :

ومن الثغور المهمة التي عُمِّرَتْ أكثر من مرَّة في العصر العباسي الأوَّل ، مدينة "أَذَنَة" ، الواقعة في منطقة الثغور الشاميَّة ، بين مدينتي "المُصَيِّصَة" و"طَرُوسُوس" ، حيث تبعد عن كلِّ منهما مسافة اثني عشر ميلاً (٤) ، وهي مدينة قديمة أسَّسها الروم ، وقيل إنَّها سُمِّيت باسم "أَذَنَة بن ياون بن يافث" (٥) . وقد بناها العبَّاسيُّون في سنة ١٤١هـ / ٧٥٨م ، وقيل ١٤٢هـ / ٧٥٩م ، وذلك بأمر "صالح بن علي بن عبد الله بن عباس" (٦) عمَّ الخليفة "المنصور" .

وعلى مقربة من "أَذَنَة" شيدَّ العبَّاسيُّون قصراً في تلك الفترة ، ولكنَّ بناءه لم يكن

(١) انظر عن موقع مدينة "كَفَرِيَّيَا" : (ياقوت : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٦٨) .

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٧١ . قدامة بن جعفر : الخراج ، ص ٣٠٨ ، ياقوت : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٦٨ . ابن العديم : بغية الطلب ، ج ١ ، ص ١٥٨ . ابن شدَّاد : الأعلام الخطيرة ، ج ١ ، القسم الثاني ، ص ١٤٦ - ١٤٧ ، ابن الشحنة : الدر المنخب ، ص ١٧٩ .

(٣) الإصطخري : المسالك والممالك ، ص ٤٧ . الحميري : الروض المعطار ، ص ٥٥٤ .

(٤) الحميري : الروض المعطار ، ص ٢٠ .

(٥) ابن العديم : بغية الطلب ، ج ١ ، ص ١٦٩ .

(٦) ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٣٣ ، ابن العديم : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٦٩ . ابن شدَّاد : الأعلام الخطيرة ، ج ١ ، القسم الثاني ، ص ١٥٠ .

مُحكماً ؛ ولذا هدمه "الرشيد" في سنة ١٦٥هـ ، في أثناء خلافة أبيه "المهدي" ، وأعاد بناءه . وكان "المهدي" قد سيره في ذلك العام لغزو بلاد الروم^(١) .

وتوالى اهتمام العباسيين بمدينة "أذنة" ، فجددوا عمرانها مرةً أخرى ، وذلك بعد مرور ما يربو على نصف قرن من الزمن على بنائها ، حيث تذكر بعض الروايات أن والي الثغور "أبا سليم فرج الخادم" بنى "أذنة" بأمر من الخليفة "الأمين" (١٩٣ - ١٩٨هـ/ ٨٠٩ - ٨١٤م) - وذلك في سنة ١٩٣هـ طبقاً لما يذكره "ياقوت الحموي" ، أو ١٩٤هـ وفقاً لما يذكره "البلاذري" و"قدامة بن جعفر" و "ابن العديم" - «فأحكم بناءها وحصنها ، وندب إليها رجالاً من أهل خراسان وغيرهم»^(٢) .

وجاء في رواية أخرى أن "أبا سليم الخادم" عمّر "أذنة" قبل ذلك التاريخ بثلاثة أعوام ، أي في سنة ١٩٠هـ^(٣) ، ويعني هذا أن عمرانها كان في أواخر خلافة "هارون الرشيد" . ولعلّ الجغرافي "الحميري" قد وفق بين هاتين الروایتين عندما أشار إلى أن الخليفة "الرشيد" بنى مدينة "أذنة" ، ثم أتم ابنه الخليفة "الأمين" بناءها من بعده^(٤) . ويبدو أن تلك المدينة قد تعرّضت - بحكم موقعها الجغرافي ، حيث كانت ثغراً من الثغور الإسلامية المطلة على بلاد الروم - لبعض التلف على أيديهم ، ممّا دعا العباسيين إلى إعادة إعمارها في ذلك الحين ..

ولعلّ اهتمام العباسيين بمدينة "أذنة" وتكرّر بنائهم لها في تلك الفترة ، يُعزى - فضلاً عن كونها مدينةً متاخمةً لبلاد الروم - إلى أنها كانت تُتخذ منزلاً لولاة الثغور في

(١) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٧٢ - ١٧٣ . ابن العديم : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٦٩ - ١٧٠ .

(٢) البلاذري : المصدر السابق ، ص ١٧٣ ، قدامة بن جعفر : الخراج ، ص ٣٠٩ - ٣١٠ . ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٣٣ . ابن العديم : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٧٠ .

(٣) ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٣٣ .

(٤) الروض المعطار ، ص ٢٠ .

تلك العهود ، وذلك لما تميّزت به من سعة رقعتها ؛ ولكونها «مدينة جليلة عامرة ، ذات أسواق وصناعات»^(١) .

بناء "طرسوس" في عهد "الرشيد" :

تُعدّ مدينة "طرسوس" - الواقعة في أطراف بلاد الشام ، بين "أنطاكية" و "حلب" و"بلاد الروم"^(٢) - من أعظم الثغور الإسلامية ، وأوسعها شهرة^(٣) . ولذا حظيت باهتمام كبير من جانب العباسيين وولاتهم ، ولا سيّما الخليفة "هارون الرشيد" .. فقد عُمِرَتْ في مستهلّ عهده على يد والي الثغور "أبي سليم فرج الخادم" ، وأضحى لها منذ تلك الفترة شأنٌ كبيرٌ في ميدان العلاقات مع الروم والصراع بينهم وبين المسلمين . وقد شرع "أبو سليم" في عمارتها سنة ١٧١هـ / ٧٨٧م ، وأتمّ بناءها وتحصينها وبناء مسجدها في أوائل سنة ١٧٢هـ / ٧٨٨م ، ثم أسكن فيها بضعة آلاف من الجند المسلمين ، كان منهم ثلاثة آلاف رجل من أهل خُرَاسان ، وألفا رجل من أهل "المُصَيَّصَة" ، وألف رجل من أهل "أنطاكية" ، وذلك في شهر ربيع الآخر من سنة ١٧٢هـ / ٧٨٨م^(٤) .

ويُروى أنّ "طرسوس" كانت قبل بنائها خراباً ، ولكنها - مع ذلك - ظلّت مأهولةً

(١) المصدر السابق نفسه ، ص ٢٠ .

(٢) انظر عن موقع مدينة "طرسوس" : (ياقوت : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٨) .

(٣) عن أهميّة مدينة "طرسوس" بين الثغور الإسلامية ، انظر : (الإصطخري : المسالك والممالك ، ص ٤٧ . ابن حوقل : كتاب صورة الأرض ، ص ١٦٨ . فتحي عثمان : الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري - القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦م ، ج ١ ، ص ٢٥٤ - ٢٥٥ . عليّة الجزوري : الثغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية في العصور الوسطى - القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٩م ، ص ٢٩ - ٣١) .

(٤) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٧٤ ، قدامة بن جعفر : الخراج ، ص ٣١٠ - ٣١١ ، وقد أشار بعض المؤرخين إلى بناء مدينة "طرسوس" باختصار ، انظر : (الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ص ٢٣٤ . القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد - بيروت : دار بيروت ، بيروت ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص ٢١٩ . ابن شدّاد : الأعلّاق الخطيرة ، ج ١ ، القسم الثاني ، ص ١٥٦ . ابن الشحنة : الدرّ المنتخب ، ص ١٨٤) .

بالسكّان ، حيث كان يقطنها - وفقاً لما يذكره "البلاذري"^(١) - مئة ألف إنسان ، في حين يزيد "ابن الفقيه الهمداني"^(٢) هذا العدد إلى مئتي ألف إنسان . وحينما قدم القائد العبّاسي "الحسن بن قحطبة الطائي"^(٣) إلى بلاد الروم غازياً في سنة ١٦٢هـ / ٧٧٨م - أي في عهد الخليفة "المهدي" - رأى حالها وما كانت عليه ، وطوّف في جميع أنحائها ، فلمّا عاد إلى دار الخلافة وصفها للخليفة "المهدي" ، وأوضح له ضرورة تعميرها وما في ذلك من عزٍّ للإسلام وقوّة للمسلمين على الروم^(٤) ، وأشار عليه أيضاً ببناء مدينة "الحَدَث" ، فوافق "المهدي" على ذلك ، وأوصى "الحسن" ببناء المدينتين "طَرَسُوس" و"الحَدَث" ، وأمره أن يشرع ببناء المدينة الثانية ففعل ، وتوفّي الخليفة "المهدي" في سنة ١٦٩هـ / ٧٨٥م ، ثمّ ابنه الخليفة "موسى الهادي" في سنة ١٧٠هـ / ٦٨٧م ، قبل عمارة "طَرَسُوس" ، فلمّا تولّى الخلافة "هارون الرشيد" أنقذ وصيّة أبيه ، وأمر ببنائها في العام الثاني من خلافته (١٧١هـ / ٧٨٧م)^(٥) .

ويورد المؤرّخ "ابن الأثير" خبر بناء مدينة "طَرَسُوس" ضمن حوادث سنة ١٩١هـ ، بل إنّه ينصّ على أنّ بناءها تمّ في سنة ١٩٢هـ^(٦) ، مخالفاً بذلك ما ساقته الروايات السابقة، والتي ذكرت أنّها بُنيت قبل ذلك التاريخ بنحو عشرين عاماً . غير أنّ روايته هذه لا اعتبار

(١) فتوح البلدان ، ص ١٧٣ .

(٢) مختصر كتاب البلدان ، ص ١٠٨ - ١٠٩ .

(٣) هو "الحسن بن قحطبة بن شبيب بن خالد الطائي" ، قائد عبّاسي ، ولّاه "أبو جعفر المنصور على أرمينية" ، وشارك في عدد من الحملات التي وجهها العبّاسيون إلى بلاد الروم ، توفّي سنة ١٨١هـ ، انظر أخباره في : (خليفة بن خياط : تاريخه ؛ تحقيق : أكرم ضياء العمري - ط ٢ - بيروت : دار القلم ، بيروت ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ، ص ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٦ ، ٤٢٤ ، ٤٣٧ ، ٤٦٢ ، الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ص ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤٣١ ، ٤٥١ - ٤٥٤ ، ٤٥٧ ، ٤٧٦ ، ٤٧٩ - ٤٨١ ، ج ٨ ، ص ٢٨ ، ١٤٢ ، ٢٦٨) .

(٤) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٧٣ . ابن الفقيه الهمداني : مختصر كتاب البلدان ، ص ١٠٨ .

(٥) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٧٣ - ١٧٤ .

(٦) الكامل في التاريخ ، ج ٦ ، ص ٢٠٦ .

لها ، لأسبابٍ عدّة ، منها : أنّ المؤرّخين الذين ذكروا أنّها بُنيت سنة ١٧١هـ كانوا أقرب منه إلى زمن بنائها ، ولا سيّما "البلاذري" الذي عاش في القرن الثالث الهجري ، ومنها أنّ روايتهم لبنائها كانت أكثر دقّة وتفصيلاً من رواية "ابن الأثير" ، هذا فضلاً عن أنّ "ابن الأثير" نفسه أورد في حوادث سنة ١٧٠هـ روايةً أخرى مقتضبة ذكر فيها أنّ الخليفة "الرشيد" أمر بعمارة مدينة "طرُسُوس" في تلك السنة^(١) .

ويصعب القول بأنّ رواية "ابن الأثير" تلك يمكن أن يُستدلّ بها على أنّ مدينة "طرُسُوس" أُعيد بناؤها من جديد سنة ١٩١هـ / ٨٠٧م ؛ لأنّ المعلومات التي أوردتها في روايته ذكرها المؤرّخون في روايتهم عن بناء المدينة سنة ١٧١هـ / ٧٨٧م .

هذا ويسوق الجغرافي "الحميري" معلوماتٍ مفصّلة عن بناء مدينة "طرُسُوس" في أيام الخليفة "الرشيد" ، فيذكر أنّ الخليفة وجّه قائده "أبا سليم"^(٢) فرج الخادم التركي " في جيش كثيف إلى منطقة الثغور ، وأمره أن يبني تلك المدينة في مرجّ بسفح جبل ، ولم يكن ثمة بناء في ذلك الموضع ، كما أمره أن يجعل النهر يجري في وسطها ، وهو نهْرُ ينبع من جبال الروم ، فشرع في بنائها في سنة ١٧٠هـ / ٧٨٦م ، وشيّد بها سبعةً وثمانين برجاً مستديرةً ومربعةً ، على كلّ برجٍ منها عشرون شرفة ، وبين البرج والآخر ستٌ وخمسون شرفة ، عرض الشرفة ذراعان ونصف ، وارتفاعها مثل ذلك ، وأحاط سورها بخندق عريض عميق مبني بالصخر ، وجعل لها خمسة أبواب : باب الجهاد ، وباب الصفصاف ، وباب الشام ، وباب البحر ، وباب يُسمّى «الباب المسدود» ، وجعل على النهر الذي يشقّ المدينة قنطرتين عظيمتين . وتكامل بناء المدينة سنة ١٧٢هـ / ٧٨٨م ، وسكنها الجند وشيّدت بها المنازل سنة ١٧٣هـ / ٧٨٩م^(٣) .

(١) المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ١٠٨ .

(٢) يذكره "الحميري" باسم «أبي مسلم فرج ...» والصحيح أنّه «أبو سليم فرج» .

(٣) الروض المعطار ، ص ٣٨٨ .

ومّا لا مرّاء فيه أنّ ما بذله العبّاسيّون من جُهدٍ بيّن في إحكام بناء مدينة "طرُسوس" في ذلك العهد ، قد أسهم إلى حدٍّ بعيد في استمرار صمودها وقوّتها ، رغم كونها مدينة ثغريّة معرّضة حينذاك لغارات الروم وهجماتهم .. ونستطيع أن نلمس ذلك ممّا ساقه الجغرافي "الإصطخري" الذي وصف "طرُسوس" بعد بنائها بنحو قرن ونصف من الزمن بقوله: «وطرُسوس مدينةٌ كبيرةٌ عليها سوران من حجارة ، تشتمل على خيل ورجال وعُدّة ، وهي في غاية العمارة والخصب ، وبينها وبين حدّ الروم جبال ، وهي الحاجز بين المسلمين والروم ، ويُقال إنّهُ كان بها زهاء مئة ألف فارس ..»^(١) .

بناء "الهارونية" :

لم تقتصر جهود العبّاسيّين في بناء الثغور وتحصينها على المدن الكبيرة فحسب ، بل إنهم تنبّهوا أيضاً إلى أهميّة تعمير الثغور الصغرى ، وأولوها عنايتهم ، وبذلوا غاية جهدهم في تقويتها وتحصينها ..

ومن المدن الثغريّة الصغيرة التي شُيّدتْ لأوّل مرّة في العصر العبّاسي الأوّل ، مدينة "الهارونية" ، وقد بُنيتْ - وفقاً لما تذكره بعض الروايات - في سنة ١٨٣هـ / ٧٩٩م ، في منطقة الثغور الشامية المتاخمة لبلاد الروم ، غربي جبل "اللّكّام" ، وذلك بأمر من الخليفة "هارون الرشيد" ، وسُمّيت «الهارونية» نسبةً إليه ، وشُحنت بالجنود النظاميّين ، ومن نزح إليها من الجند المتطوّعين^(٢) .

وذكرت روايةٌ أخرى أنّ "الرشيد" شرع في بناء "الهارونية" في عهد أبيه الخليفة "المهدي" ، ولكنّ عمرانها لم يكتمل إلّا في أثناء خلافته^(٣) . غير أنّه يصعب الجزم بصحّة

(١) المسالك والممالك ، ص ٤٧ .

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٧٥ . قدامة بن جعفر : الخراج ، ص ٣١١ . ابن الفقيه الهمداني : مختصر كتاب البلدان ، ص ١٠٩ . ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٣٨٨ .

(٣) البلاذري : المصدر السابق ، ص ١٧٥ .

هذه الرواية ؛ لأنّ "الهارونية" لم تكن مدينةً كبيرةً يستغرق تعميرها سنواتٍ عدّة ، بل كانت ثغراً صغيراً ، حتّى إنّ بعض الجغرافيين حينما يتحدثون عنها ، يُشيرون إلى أنّها كانت حصناً من الحصون ، ولم تكن مدينةً ذات شأن كبير^(١) .

وتُشير روايةٌ ثالثةٌ إلى أنّ "الرشيد" بنى "الهارونية" إبّان خلافة "المهدي"^(٢) . وإذا صحّت هذه الرواية فهي تعني أنّ تلك المدينة شُيّدت - غالباً - في سنة ١٦٣هـ ، أو في سنة ١٦٥هـ ؛ لأنّ "الرشيد" سار بنفسه إلى بلاد الروم غازياً في هذين العامين ، وجاب منطقة الثغور ، وأقام فيها شهوراً عدّة^(٣) .

ومع أنّ "الهارونية" لم تكن من الثغور الكبيرة ؛ إلّا أنّها قامت في بعض الفترات بدور مؤثّر في ميدان الحروب بين المسلمين والروم ، وكان للمرابطين فيها غزوات ناجحة في البلاد الرومية ، وقد أشاد "ابن حوقل" بها بعد ما يربو على قرن ونصف من بنائها ، فذكر أنّها كانت في أيامه «في غاية العمارة» ، وأهلها «في جهادهم في نهاية الجلد والشاطرة ، يغزون فيغنمون» ، وأنهم يتسلّلون إلى بلاد الروم ، ثمّ يعودون سالمين^(٤) .

"طَوَانَة" بين "المأمون" و "المعتصم" :

وفي السنة الأخيرة من عهد الخليفة "المأمون" (١٩٨ - ٢١٨هـ / ٨١٣ - ٨٣٣م) ، عُمِّرت مدينة "طَوَانَة" ، الواقعة في منطقة الثغور ، على مقربة من مدينة "المُصَيِّصَة"^(٥) .

(١) الإصطخري : المسلك والممالك ، ص ٤٧ ، ابن حوقل : كتاب صورة الأرض ، ص ١٦٧ .

(٢) ابن العديم : بغية الطلب ، ج ١ ، ص ٢١٩ .

(٣) عن الحملات العسكرية الموجهة إلى بلاد الروم التي قادها "الرشيد" في خلافة أبيه "المهدي" ، انظر : (الطبري :

تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ص ١٤٤ - ١٤٨ ، ١٥٢ - ١٥٣ . ابن الأثير : الكامل ، ج ٦ ، ص ٦٠ - ٦١ ،

٦٦ - ٦٧ . فتحي عثمان : الحدود الإسلامية البيزنطية ، ج ٢ ، ص ١٥٢ - ١٥٤ ، موفق سالم نوري :

العلاقات العباسية البيزنطية . بغداد ، ١٩٩٢م ، ص ١٨٨ - ١٩٢ . وديع فتحي عبد الله : العلاقات

السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامي - الإسكندرية ، ١٩٩٠م ، ص ١٩٣ - ١٩٨ ، ٢١٤ - ٢٢٥ .

(٤) ابن حوقل : كتاب صورة الأرض ، ص ١٦٧ .

(٥) انظر عن موقع "طَوَانَة" : (باقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٥) .

وتولّى بناءها "العبّاس بن المأمون"^(١) ، فقد بعثه والده في تلك الفترة إلى موضع "طوّانة" ، وأرسل إليه عمّال البناء «فابتدأوا في بنائها ميلاً في ميل ، وجعل سورها على ثلاثة فراسخ (٩ أميال) ، وجعل لها أربعة أبواب ، وجعل على كلّ باب حصناً» ، وبعث إلى مختلف البلدان طالباً إلى أهل كلّ بلدٍ أن يُوجِّهوا جماعةً منهم إلى "طوّانة" ليرابطوا فيها «وأجرى لهم لكلّ فارس مئة درهم ، ولكلّ راجل أربعين درهماً»^(٢) .

على أنّ بعض الروايات تُشير إلى أنّ بناء مدينة "طوّانة" لم يُقدّر له أن يكتمل ؛ ذلك أنّ الخليفة "المأمون" مالَبث أن توفّي في تلك السنة التي أمر فيها ببناء المدينة (٢١٨هـ / ٨٣٣م) ، وتولّى أخوه "المعتصم بالله" الخلافة من بعده ، فأمر في العام نفسه بهدم ما بُني منها ، وأعاد من رابط فيها من الناس إلى بلدانهم^(٣) .

ويُستشفّ من رواية ساقها "ياقوت الحموي" أنّ عمران مدينة "طوّانة" لم يتجاوز في تلك الفترة مراحل الأولى ، ولم يُشَيّد منها حينما توفّي الخليفة "المأمون" إلّا القليل ، فقد أشار إلى أنّ "المأمون" لما قدم الثغر غازياً أمر ببناء سور على موضع "طوّانة" ، بمقدار ميل في ميل ، وعيّنهُ ليكون مدينةً ، وجَهَّز من أجل ذلك المال والرجال ، ولكنّ بناءها لم يتمّ ، فما أنّ شُرع في عمرانها حتّى مات "المأمون" ، وتولّى "المعتصم" الخلافة ، فأبطل ذلك وأوقف البناء^(٤) .

(١) هو "العبّاس بن المأمون بن الرشيد" ، أكبر أبناء الخليفة "المأمون" ، وليّ إبّان خلافة أبيه على إقليم الجزيرة الفراتية ، وذلك سنة ٢١٣هـ ، كما كلفه أبوه ببعض المهام الحربية . سجنه الخليفة "المعتصم بالله" سنة ٢٢٣هـ ، لاتّهامه إيّاه بالتآمر ضده ، والسعي لطلب الخلافة ، ومات في سجنه في نفس العام في مدينة "منبج" ببلاد الشام ، انظر : (ابن الأثير : الكامل ، ج ٦ ، ص ٤٠٩ ، ٤١٥ ، ٤١٧ ، ٤٨٩ - ٤٩٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية : تحقيق : أحمد أبو ملحم ، وآخرين - بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ج ١٠ ، ص ٣٠١ - ٣٠٢) .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٦ ، ص ٤٤٠ - ٤٤١ .

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ص ٦٦٧ .

(٤) معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٦ .

ولا تُسَعِّفنا المصادر التاريخية بما يكشف عن الأسباب التي دفعت الخليفة "المعتصم" إلى إيقاف بناء مدينة "طُوكانة" ، بل وهدم ما بُني منها ، وتفريق سكَّانها إلى بلدانهم .. ولعلَّ وجودها بالقرب من مدينة "المُصَيَّصَة" - والتي كانت تحفَّ بها أيضاً ثغورٌ أخرى عديدة - قد جعل "المعتصم" لا يرى أنَّ هناك حاجةً ماسَّةً لبنائها في تلك الفترة ..

بناء المدن الشَّغرية الجزريَّة ونحسينها :

بناء "مَلْطِيَّة" في خلافة "المنصور" :

تعد "مَلْطِيَّة" من أوائل الثغور الجزرية التي اجتهد العبَّاسيُّون في بنائها وتحسينها . وهي مدينةٌ موعلةٌ في القدم ، قيل إنَّها من بناء الإسكندر المقدوني ، وكانت تُعرف عند الروم باسم «مَلْطِيَّا»^(١) ، وقيل إنَّها كانت تُسمَّى «مليتين (Melitene)» ، وهي من أجلَّ الثغور الإسلاميَّة المتاخمة للبلاد الرومية وأشهرها ، وأكثرها عدَّةً وعتاداً^(٢) .

وقد عُمِّرت مدينة "مَلْطِيَّة" في مطلع العصر العبَّاسي الأوَّل ، وذلك في سنة ١٤٠هـ / ٧٥٧م ، وكان الروم قد هاجموا في سنة ١٣٣هـ / ٧٥٠م ، وهدموا ، ولم يُبقوا منها إلَّا شيئاً يسيراً^(٣) ، فوجَّه الخليفة "أبو جعفر المنصور" "عبد الوهَّاب بن إبراهيم بن محمد بن علي" ^(٤)

(١) ابن العديم : بغية الطلب ، ج ١ ، ص ٢٥١ . ابن شدَّاد : الأعلام الخطيرة ، ج ١ ، القسم الثاني ، ص ١٨٤ .

(٢) انظر عن أهميَّة مدينة "مَلْطِيَّة" بين الثغور الإسلاميَّة المتاخمة للدولة البيزنطيَّة : (ابن حوقل : كتاب صورة الأرض ، ص ١٦٦ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ترجمة : بشير فرنسيس ، وكوركيس عواد - ط ٢ - بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص ١٥٢ . فتحي عثمان : الحدود الإسلاميَّة البيزنطيَّة ، ج ١ ، ص ٢٣٩ . عليَّة الجنزوري : الثغور البريَّة الإسلاميَّة على حدود الدولة البيزنطيَّة في العصور الوسطى ، ص ١٠٣ ، ١٠٨ .

(٣) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٩١ - ١١٩ . قدامة بن جعفر : الخراج ، ص ٣١٨ . ابن شدَّاد : الأعلام الخطيرة ، ج ١ ، القسم الثاني ، ص ١٨٦ - ١٨٧ .

(٤) هو "عبد الوهَّاب بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عبَّاس" ، من أبناء البيت العبَّاسي ، كان - كما يقول "الخطيب البغدادي" - رجلاً «عظيم القدر» ، وكانت تُنسب إليه سوقة في بغداد تُسمَّى «سوقة عبد الوهَّاب» . ولأه الخليفة "أبو جعفر المنصور" على بلاد الشام ، وفيها توفي سنة ١٥٨هـ . (الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ، ج ١١ ، ص ١٧ - ١٨) .

لبنائها « فأقام عليها سنةً حتى بناها ، وأسكنها الناس »^(١) . وقيل إن بناءها مع مسجدتها قد استغرق ستة أشهر فقط^(٢) . ولما بُنيت رابط فيها أربعة آلاف من الجنود ، من أهل الجزيرة الفراتية ، وزيد في أعطيائهم ، وأقطعوا المزارع^(٣) ، وعاد إليها من بقي من أهلها^(٤) . ولم يكن غريباً أن يهتم العباسيون اهتماماً ملحوظاً ببناء مدينة "مَلْطِيَّة" في تلك الفترة ، وذلك لأسباب عدة ، منها : أنها كانت أهم الثغور الجزرية في ذلك العهد ، ومنها أنها كانت مركز الثقل وتقاطع الطرق التجارية والعسكرية بين الجزيرة الفراتية والعراق من ناحية وآسيا الصغرى والقسطنطينية من ناحية أخرى ، وظلت كذلك لبضعة قرون^(٥) .

ويُعدّ بناء العباسيين لمدينة "مَلْطِيَّة" في تلك الفترة تجديداً لها ؛ لأنّ أسلافهم الأمويين كانوا قد بنوها في حدود سنة ١٢٣هـ / ٧٤١م ، أي في أواخر عهد الخليفة " هشام ابن عبد الملك " ^(٦) .

ويسوق "ابن الأثير" ^(٧) روايتين متباينتين عن بناء مدينة "مَلْطِيَّة" في تلك الفترة ، إحداهما تنسجم إلى حدّ كبير مع الروايات السابقة التي أوردها "البلاذري" و "قدامة بن

(١) خليفة بن خيَّاط : تاريخه ، ص ٤١٨ . ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ١٩٢ - ١٩٣ . وانظر عن بناء مدينة "مَلْطِيَّة" في تلك الفترة أيضاً : ابن العديم : بغية الطلب ، ج ١ ، ص ٢٥٣ ، النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٢ ، ص ٨١ . الحميري : الروض المعطار ، ص ٥٤٥ . ابن الشحنة : الدر المنخب ، ص ١٩٥ - ١٩٦ .

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٩١ . قدامة بن جعفر : الخراج ، ص ٣١٩ . ابن الفقيه الهمداني : مختصر كتاب البلدان ، ص ١٠٩ . ابن العديم : بغية الطلب ، ج ١ ، ص ٢٥٥ . ابن شدّاد : الأعلام الخطيرة ، ج ١ ، القسم الثاني ، ص ١٨٧ .

(٣) ابن الفقيه الهمداني : المصدر السابق ، ص ١٠٩ . ابن العديم : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ٥ ، ص ٥٠٠ .

(٥) شاعر مصطفى : دولة بني العباس - ط ١ - الكويت ، ١٩٧٣م ، ج ٢ ، ص ٣٣١ .

(٦) انظر عن بناء مدينة "مَلْطِيَّة" في العصر الأموي : (البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٩٠ . قدامة بن جعفر : الخراج ، ص ٣١٨) .

(٧) الكامل في التاريخ ، ج ٥ ، ص ٤٨٨ ، ٥٠٠ .

جعفر" و "ابن الفقيه الهمداني" ، بينما تُخالف روايته الأخرى تلك الروايات ، فهو يُشير من ناحية إلى أن بناءها لم يكن في سنة ١٤٠هـ كما ورد في الروايات السابقة ، بل كان قبل ذلك ؛ لأنه اكتمل - كما يقول - في سنة ١٣٩هـ .. كما يذكر - من ناحية أخرى - أن بناء "مَلْطِيَّة" تمّ على يد "صالح بن علي بن عبد الله بن عباس" و "العبّاس بن محمد ابن علي"^(١) . ويُفهم من رواية "ابن الأثير" أيضاً أن البناء اقتصر على المواضع التي هدمها الروم ولم يشمل المدينة كلّها ، يقول في هذا الصّدّد : «في هذه السنة (١٣٩هـ) فرغ صالح بن علي والعبّاس بن محمد ، من عمارة ما أخربه الروم من مَلْطِيَّة»^(٢) .

ومهما يكن من أمر ، فإنّه ممّا لا شكّ فيه أن جهود العبّاسيّين في إعادة بناء مدينة "مَلْطِيَّة" في تلك الفترة، قد أسهمت إلى حدّ بعيدٍ في دعم قوّتها واستمرار صمودها، وجعلها قادرةً على أن تقوم بدورها المناط بها في حماية ما حولها من المناطق الإسلامية لعهودٍ طويلة ، ولا أدلّ على ذلك ممّا ذكرته بعض الروايات من أن الروم غزوها في أيّام الخليفة "هارون الرشيد" (١٧٠ - ١٩٣هـ / ٧٨٦ - ٨٠٩م) - أي بعد ما يربو على ثلاثين عاماً من إعادة عمرانها - ولكنهم فشلوا في غزوتهم تلك ، ولم يتمكنوا من الاستيلاء عليها^(٣) .

هذا وقد ظلّت "مَلْطِيَّة" مدينةً ذات شأن كبير لفترات طويلة ، فقد وصفها "الإصطخري" بعد مضيّ ما يُناهز قرنين من الزمن على بنائها بأنها مدينةٌ كبيرةٌ ، مشهورةٌ بشمارها وأشجارها ولا سيّما شجر الجوز^(٤) .

(١) هو "العبّاس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس" أخو الخليفتين "السفّاح" و "المنصور" ، أثنى عليه "الخطيب البغدادي" فوصفه بأنّه «من رجال بني هاشم» ، ولأه الخليفة "الرشيد" على إقليم الجزيرة الفراتية سنة ١٨٥هـ ، وكان يُجلّه ويُقدّره ، وتوفّي في بغداد في العام التالي (١٨٦هـ) . (الخطيب البغدادي : تاريخ

بغداد ، ج١٢ ، ص١٢٤ - ١٢٥) .

(٢) الكامل في التاريخ ، ج٥ ، ص٤٨٨ .

(٣) الحميري : الروض المعطار ، ص٥٤٥ .

(٤) المسالك والممالك ، ص٤٦ .

"المنصور" و "الرشيد" يُجددان بناء مدينة "مرعش" :

وتوالى اهتمام العباسيين ببناء المدن الثغرية وتحصينها ، دون انقطاع أو فتور . ففي خلافة المنصور أيضاً بنى "صالح بن على بن عبد الله بن عباس" مدينة "مرعش" - الواقعة في منطقة الثغور الجزرية - وحصنها . وكان بنو أمية قد عمروها من قبل أكثر من مرة . فقد بناها الخليفة "معاوية بن أبي سفيان" في مستهل العصر الأموي ، ثم جدّد "العباس بن الوليد بن عبد الملك"^(١) ، بناءها في أواخر القرن الأوّل الهجري ، كما جدّد تعميرها "مروان بن محمد" - آخر خلفاء بني أمية - ولكنّ الروم غزوها في أخريات أيامه ، وعاثوا فيها تخريباً^(٢) ، ممّا دعا العباسيين إلى إعادة إعمارها في أيام الخليفة "المنصور" . على أنّ بناء العباسيين لمدينة "مرعش" في عهد "المنصور" لم يكن يُمثّل نهاية المطاف بالنسبة لجهودهم في إعمارها ، أو يعني الاستقرار الدائم لتلك المدينة ؛ ذلك أنّ وجودها في منطقة الثغور جعلها معرضة لتتابع هجمات الروم عليها ، شأنها في ذلك شأن كثير من المدن الثغرية في تلك العهود ، وآية ذلك ما تذكره المصادر التاريخية من أنّه جدّد بناؤها في عهد الخليفة "هارون الرشيد" أيضاً^(٣) .

ويُستشفّ من رواية ذكرها "ياقوت الحموي" أنّ البناء الفعلي لمدينة "مرعش" إنّما كان في عهد الخليفة "الرشيد" ، وأنّها لم تكن قبل ذلك سوى حصن من الحصون ، يُحيط

(١) هو "العباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان" ، أكبر أبناء "الوليد" . كان يُلقّب «فارس بني مروان» . ولأه أبوه على "حمص" ، كما ولأه غزو الروم أكثر من مرة ، وفي تلك الغزوات تمكّن من فتح عدد من المدن والحصون . سجنه "مروان بن محمد" - آخر خلفاء بني أمية - ومات في سجنه ، بمدينة "حرّان" سنة ١٣١ هـ ، (صلاح الدين المنجد : معجم بني أمية - ط ١ - بيروت : دار الكتاب الجديد ، ١٩٧٠م ، ص ٧٩ . الزركلي : الأعلام ، ج ٣ ، ص ٢٦٨ .

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٩٢ - ١٩٣ ، قدامة بن جعفر : الخراج ، ص ٣١٩ ، ابن العديم : بغية الطلب ، ج ١ ، ص ٢٣٥ - ٢٣٦ . ابن شدّاد : الأعلام الخطيرة ، ج ١ ، القسم الثاني ، ص ١٦٨ - ١٦٩ . ابن الشحنة : الدر المنخب ، ص ١٩١ - ١٩٢ .

(٣) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ١٠٧ .

به سور .. يقول في هذا الصدد : « .. وفي وسطها (أي مَرْعَش) حصنٌ عليه سورٌ يُعرف بالمرواني بناه مروان بن محمد ، ثم أحدث الرشيدُ بعده سائر المدينة »^(١) .

ومع أن مدينة " مَرْعَش " بُنيت للمرة الخامسة في أيام الخليفة "الرشيد" ، وكان بناؤها حينذاك أوسع وأعظم مما كان من قبل - حسب رواية ياقوت الحموي ؛ إلا أنها لم تشهد - فيما يبدو - نمواً كبيراً في العصور التالية ، فقد أشار "الإصطخري" إلى أنها كانت في أيامه (النصف الأول من القرن الرابع الهجري) مدينةً صغيرةً ، وإن كانت - كما يقول - عامرةً ، فيها مياهٌ وزروعٌ وأشجارٌ كثيرة^(٢) .

بناء ثغر "الحَدَث" في عهدَي "المهدي" و "الرشيد" :

وفي أيام الخليفة "المهدي" بُنيت مدينة " الحَدَث " في منطقة الثغور الجزرية المتاخمة لبلاد الروم البيزنطيين ، وكانت في الأصل قلعة حصينة ، بين مَلْطِيَّة و سُمَيْسَاط ومَرْعَش^(٣) ، ثم عَظُم شأنها وصارت من أهم الثغور الإسلامية . وقد دخلت في حوزة المسلمين منذ وقتٍ مبكرٍ ، حيث فُتحت في عهد الخليفة "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه^(٤) . وكان يُقال لها «الحَدَث الحمراء» ؛ لاحمرار أرضها^(٥) . وقد أشار إليها الشاعر المشهور "أبو الطيّب المتنبّي" في شعره بهذا الاسم ، وذلك حينما امتدح "سيف الدولة الحمداني" في إحدى قصائده المشهورة .. حيث قال :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

(١) المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٠٧ .

(٢) المسالك والممالك ، ص ٤٧ .

(٣) انظر عن موقع مدينة " الحَدَث " : (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٢٧) .

(٤) ياقوت : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢٧ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٢٧ . ابن العديم : بغية الطلب ، ج ١ ، ص ٢٣٩ . ابن شدّاد : الأعلاق الخطيرة ، ج ١ ،

القسم الثاني ، ص ١٧٣ . ابن الشحنة : الدرّ المنتخب ، ص ١٩٣ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٥٤ .

وتعظم في عين الصغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظام

هل الحَدَثُ الحمراء تعرف لونها وتعلم أيّ الساقيين الغمام^(١)

وقد بُنيت "الحَدَث" - وفقاً لما تذكره بعض الروايات - على يد القائد العبّاسي "الحسن بن قحطبة الطائي"، وكان "الحسن" قد غزا بلاد الروم سنة ١٦٢هـ / ٧٧٨م، فلماً عاد من غزوته أشار على الخليفة "المهدي" ببناء تلك المدينة، ويُنّ له ضرورة ذلك وأهميته، ولقيت مشورته صدقاً وقبولاً عند الخليفة، فأمره ببنائها^(٢).

ويبدو أنّ "الحسن بن قحطبة" كان حريصاً على بناء تلك المدينة؛ لكونها ثغراً من الثغور المهمة؛ ولأنّها كانت معرضةً لهجمات الروم في كلّ وقت، ولعلّ ما ذكرته بعض الروايات من أنّ الروم هاجموا قبيل الغزوة التي قام بها "الحسن" في تلك السنة (١٦٢هـ / ٧٧٨م) وهدموا سورها^(٣)، أبرز دليل على ذلك.

وتذكر رواية أخرى أنّ والي العبّاسي "علي بن سليمان بن علي"^(٤) هو الذي تولّى

(١) ديوان المتنبي - بيروت: دار صادر، ص ٣٨٥.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٧٣. قدامة بن جعفر: الخراج، ص ٣١٠.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٥٨.

(٤) هو "علي بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عبّاس"، من رجال بني العبّاس، ولأه الخليفة "المهدي" على إقليم الجزيرة الفراتية مرتين، كما عينه والياً على اليمن، ثمّ ولأه الخليفة "الهادي" على مصر سنة ١٦٩هـ، ولما تولّى "الرشيد" الخلافة في سنة ١٧٠هـ أقرّه على ولايته، ولكنّه ما لبث أن عزله عنها في العام التالي (١٧١هـ)، فعاد إلى بغداد، ومن ثمّ كلّفه "الرشيد" بقيادة الجيش الذي وجّهه لمحاربة "يحيى بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن علي" في بلاد "الديلم"، ولم يزل ذا مكانة عنده حتّى توفّي سنة ١٧٢هـ، وقيل ١٧٨هـ. انظر: (خليفة بن خياط: تاريخه، ص ٤٤٠، ٤٤١. الكندي: ولاية مصر؛ تحقيق: حسين نصّار - بيروت: دار صادر، ص ١٥٤ - ١٥٥. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة؛ تحقيق: محمد حسين شمس الدين - ط ١ - بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م، ج ٢، ص ٧٩ - ٨١).

بناء مدينة "الحَدَث" ، وذلك في أواخر عهد الخليفة "المهدي" - وكان حينها والياً على "الجزيرة الفراتية" و "قَنْسَرِينَ" - وَسُمِّيَتْ «المحمّدية» نسبةً للخليفة "محمد المهدي" ، كما سُمِّيَتْ «المهدية» أيضاً ، واكتمل بناؤها في السنة التي توفى فيها "المهدي" ، وهي سنة ١٦٩هـ / ٧٨٥م ، وأُسْكِنَ فيها "علي بن سليمان بن علي" أربعة آلاف رجل ، ثم نقل إليها أيضاً ألفي رجل آخرين من عدد من البلدان المجاورة لها^(١) .

على أن بناءها مالبث أن تصدّع بُعيد وفاة الخليفة "المهدي" بفترة يسيرة ، وذلك بفعل الأمطار الغزيرة والثلوج ، وزاد الطين بلّةً هجوم الروم عليها في تلك الفترة ؛ فقد ذكرت بعض الروايات أن بطريقاً^(٢) من كبار بطارقة الروم هاجم مدينة "الحَدَث" في جيش كثيف بعد بنائها بزمان يسير ، وكان بناؤها ضعيفاً ، فارتحل عنها مَنْ كان فيها من الجند المرابطين - الذين كان الوالي "علي بن سليمان بن علي" قد جلبهم إليها - ودخلها الروم فأحرقوا مسجدها وعاثوا فيها تخريباً ونهبوا ما فيها^(٣) .

ولمّا علم الخليفة "موسى الهادي" بذلك - وكان قد تولّى الخلافة في سنة ١٦٩هـ / ٧٨٥م - وجّه بعض قوّاده لبنائها ، ولكنّ وفاته في العام التالي (١٧٠هـ / ٧٨٦م) حالت دون ذلك ، فلمّا تولّى الخليفة "الرشيد" أمر ببنائها وتحصينها ، وإرسال بعض الجند إليها ليرابطوا فيها ، كما أمر بإقطاعهم المساكن والقطائع . وتمّ تجديد بناء مدينة "الحَدَث"

(١) البلاذري : المصدر السابق ، ص ١٩٤ . قدامة بن جعفر : الخراج ، ص ٣٢٠ . ابن العديم : بغية الطلب ، ج ١ ، ص ٢٤٠ .

(٢) (البطريق) : لقبٌ قديم من عهد الرومان ، كان يُطلق على الطبقة العالية ، ممّن كانوا يتولّون المناصب ، وكانوا يخدمون في الجيش في فرق الفرسان ، وقد صار فيما بعد لقباً عسكرياً أطلق على كبار القوادر . و "البطريق" عند الروم وأهل الشام قديماً هو «القائد» ، وهو أيضاً الحاذق بالحرب وأمورها . انظر : (ابن منظور : لسان العرب ، ج ١٠ ، ص ٢١ . الموسوعة العربية الميسرة - بيروت : دار نهضة لبنان ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ج ١ ، ص ٣٧٦ . مصطفى عبد الكريم الخطيب : معجم المصطلحات والألقاب التاريخية - ط ١ - بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م ، ص ٨١) .

(٣) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٩٤ - ١٩٥ . ابن العديم : بغية الطلب ، ج ١ ، ص ٢٤٠ ، ٢٤١ .

على يد والي العباسي "محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي" (١) الذي كان قد عُيِّن والياً على إقليم "الجزيرة الفراتية" من قِبَل الخليفة "موسى الهادي" فأقره الخليفة "الرشد" على ولايته (٢).

الخليفة "المعتصم" يُعيد بناء مدينة "زِبْطَرَة" :

تعرّضت مدينة "زِبْطَرَة" - الواقعة في منطقة آسيا الصغرى ، بين مدن "مَلْطِيَة" و "سُمَيْسَاط" و "الحَدَث" (٣) - لهجوم روميّ عنيف في عهد الخليفة "المعتصم بالله" ، حيث قتلوا رجالها وسبوا نساءها وعاثوا فيها تخريباً ، فغضب "المعتصم" وسار إلى بلاد الروم غازياً حتّى بلغ "عمورية" ففتحها ، ثمّ أمر ببناء "زِبْطَرَة" ، وحصنها وشحنها ، وأضحت على جانب كبير من القوة والمنعة ، حتّى إنّ الروم حاولوا مهاجمتها بعد ذلك فلم يُفلحوا (٤) .

وشيّد "المعتصم" في "زِبْطَرَة" وما حولها عدداً من الحصون ، كي تُسهم في حمايتها ، وتكون بمثابة دروع تقيها من غزوات الروم وغاراتهم ، ومنها : حصن "طبارجي" وحصن "الحسينية" وحصن "بني المؤمن" وحصن "ابن رحوان" (٥) .

(١) هو "محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس" ، من أعلام البيت العباسي . ولأه الخليفة "المنصور" على مكّة ، وأسند إليه إمارة الحجّ في خلافته عدّة سنين ، ثمّ ولّاه الخليفة "المهدي" على مدينة دمشق ، كما ولّاه عليها الخليفة "الرشد" أيضاً ، ووَلّي على إقليم الجزيرة الفراتية أيضاً في عهدي الخليفين "الهادي" و "الرشد" . توفّي في بغداد سنة ١٨٥هـ . انظر : (خليفة بن خبّاط : تاريخه ، ص ٤٢٥ ، ٤٣١ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٥٠ ، ٤٦٣ . البلاذري : المصدر السابق ، ص ١٩٤ - ١٩٥ . الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج ١ ، ص ٣٨٤ ، ٣٨٧ . الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٩ ، ص ٨٨ - ٨٩) .

(٢) البلاذري : المصدر السابق ، ص ١٩٤ - ١٩٥ .

(٣) عن موقع مدينة "زِبْطَرَة" انظر : (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٣٠ - ١٣١ . ابن شدّاد : الأعلام الخطيرة ، ج ١ ، القسم الثاني ، ص ١٨٠) .

(٤) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٦١٩ . ابن العديم : بغية الطلب ، ج ١ ، ص ٢٤٨ . ابن شدّاد : الأعلام الخطيرة ، ج ١ ، القسم الثاني ، ص ١٨١ - ١٨٢ . الحميري : الروض المعطار ، ص ٢٨٥ .

(٥) قدامة بن جعفر : الخراج ، ص ١٨٦ .

ووفقاً لما تذكره بعض الروايات فقد كانت "زِبْطَرَة" في أوّل أمرها مجرد حصنٍ من الحصون في منطقة الثغور ، ثم تطوّرت فأضحت في عداد المدن .. ويُقال إنّها كانت حصناً رومياً قديماً ، فتحه المسلمون في عهد الخلفاء الراشدين على يد القائد "حبيب بن مسلمة الفهري"^(١) ، وظلّ قائماً حتّى هاجمه الروم وخربوه في أواخر العصر الأموي ، فبُني بناءً غير مُحكم ، فهاجمه الروم مرّةً أخرى في خلافة " مروان بن محمد بن مروان " آخر خلفاء بني أميّة ، وهدموه ، فأعاد الخليفة "أبو جعفر المنصور" بناءه في مستهلّ العصر العبّاسي ، ثم عاود الروم مهاجمته من جديد ، فبناه الخليفة "الرشد" على يد واليه " محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس " ، فلمّا كان في خلافة "المأمون" أغارت الروم عليه أيضاً ، فأمر "المأمون" بترميمه وتحصينه ، وحدث بعد ذلك ما حدث من خروج الروم إلى "زِبْطَرَة" في أيّام الخليفة " المعتصم بالله " - وكانت قد صارت مدينةً في ذلك العهد - فهاجموها - كما ذكرنا آنفاً - فغزاهم "المعتصم" وأمر ببناء المدينة بناءً مُحكماً^(٢).

بناء المدن الثغرية الأرمينية ونحسينها :

يقع إقليم "أرمينية" إلى الشمال من إقليم الجزيرة الفراتية ، وإلى الشرق من بلاد الروم^(٣). ويقسم الجغرافيون المسلمون هذا الإقليم إلى أربعة أقسام ، كان القسم الرابع منها - أو ما يُسمّيه بعض الجغرافيين «أرمينية الرابعة» - يضمّ بعض المدن الثغرية المتاخمة

(١) هو "حبيب بن مسلمة بن مالك بن وهب الفهري" من صحابة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وأحد القوادر المسلمين في عصر الخلفاء الراشدين . ولأه الخليفة "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه على إقليم الجزيرة الفراتية. وفي مستهلّ العصر الأموي ولأه الخليفة " معاوية بن أبي سفيان " رضي الله عنه على أرمينية ، وفيها توفي سنة ٤٢هـ . انظر : (ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب : تحقيق : علي محمد معوض ، و عادل أحمد عبد الموجود - بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، ج ١ ، ص ٣٨١) .

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٩٥ - ١٩٦ . ابن العديم : بغية الطلب ، ج ١ ، ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ . ابن شدّاد : الأعلّاق الخطيرة ، ج ١ ، القسم الثاني ، ص ١٨٠ - ١٨٢ . الحميري : الروض المعطار ، ص ٢٨٥ . ابن الشحنة : الدرّ المنتخب ، ص ١٩٤ .

(٣) انظر عن موقع "أرمينية" وحدودها : (لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، الخارطة رقم (١)) .

لبلاذ الروم ، ومنها مدينة "قَالِيْقْلَا"^(١) ، التي عُمِّرت في مطلع العصر العبّاسي الأوّل . وقد بُنيت تلك المدينة في السنوات الأولى من خلافة "المنصور" ، وتحديدًا في سنة ١٣٩هـ / ٧٥٦م ، ووجّه إليها جُنْدٌ من أهل الجزيرة الفراتية ومناطق أخرى ؛ ليرابطوا فيها ، وكان الروم قد هدموها بُعيد سنة ١٣٣هـ / ٧٥٠م^(٢) . ولعلّ انشغال الخليفة "المنصور" في تثبيت دعائم الدولة العبّاسيّة في السنوات الأولى من خلافته ، هو الذي أدّى إلى تأخّره نسبيًا في إعادة بنائها بعد هدم الروم لها في تلك السنة .

ويبدو أنّ الروم ظلّوا في الفترات التالية يعاودون مهاجمة مدينة "قَالِيْقْلَا" بين الفينة والأخرى ، ويسعون للاستيلاء عليها . ففي خلافة "المعتصم بالله" هاجمها ورَمَوْا سورها «حتّى كاد يسقط ، فأنفق المعتصم عليها خمسمائة ألف درهم حتّى حصنت»^(٣) . ولعلّ هذا يُعطي دلالةً بيّنةً على مدى ما كانت تُمثّله المدن الثغرية من أهميّة عند الخلفاء العبّاسيين ، وكيف كانوا يبذلون جهودًا كبيرةً في سبيل تحصينها والمحافظة عليها ، لتقف صامدةً أمام هجمات القوى المناوئة .

وفي عهد الخليفة "المنصور أيضًا" بنى "يزيد بن أسيد السُلَكي"^(٤) مدينتين في إقليم "أرمينية" ، تُدعى إحداهما "أَرْجِيل الصغرى" والأخرى "أَرْجِيل الكبرى" ، وأسكنها

(١) عن أقسام "أرمينية" ومدنها ، وموقع مدينة "قَالِيْقْلَا" ، انظر : (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٦٠ ، ج ٤ ، ص ٢٩٩) .

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢٠٢ . قدامة بن جعفر : الخراج ، ص ٣٢٦ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٥ ، ص ٤٨٨ . النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٢ ، ص ٨٠ .

(٣) البلاذري : المصدر السابق ، ص ٢٠٢ . قدامة بن جعفر : المصدر السابق ، ص ٣٢٦ .

(٤) "يزيد بن أسيد السُلَكي" : من ولاة العبّاسيّين وقوّادهم . ولاة الخليفة "أبو جعفر المنصور" على الموصل ، كما وُلّي على إقليم أرمينية في عهدَي الخليفَتين "المنصور" و "المهدي" ، وقام بغزو بلاد الروم أكثر من مرّة . انظر عنه : (الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ص ٤٦٥ ، ج ٨ ، ص ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٣ ، ١٤٣ . الأزدري : تاريخ الموصل : تحقيق : علي حبيبة - القاهرة ، ١٣٨٧هـ / ١٩٧٦م ، ص ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٥٩ . ابن الأثير : الكامل ، ج ٦ ، ص ٦٠ ، ١٣ ، ٥٨) .

جمعاً من أهل فلسطين ، وكان "يزيد" حينها والياً على أرمينية وأذربيجان^(١) .

ويبدو أن هاتين المدينتين لم تُعمراً طويلاً ، ولم يغدُ لهما شأنٌ يُذكر في العهود التالية ، وآية ذلك أننا لا نجدُ لهما ذِكْراً عند جمهرة البلدانين المسلمين ، حتّى إن "ياقوت الحموي" ، وهو أكثرهم استقصاءً للمواضع الجغرافية في البلاد الإسلامية ، لم يورد أيّ إشارة إليهما ..

وفي تلك الفترة بنى "يزيد بن أسيد" أيضاً عدداً من الثغور الصغيرة في أرمينية وبعض النواحي المجاورة لها في منطقة جنوب القوقاز ، وأسكن فيها بضعة آلاف من الجنود ، وقد أطلق على تلك الثغور اسم «الأبواب» ، ومنها : "كُمُيْخ" و "باب الحديد" ، و "باب واق" ، و "باب أُرْسَى"^(٢) .

ويُفهم من رواية ساقها المؤرخ "اليعقوبي" أن بعض تلك «الأبواب» لم تكن مجرد مراكز ثغرية صغيرة ، بل كانت في عداد المدن ، وكان لبنائها في تلك الفترة آثاره الإيجابية ، فقد قوي المسلمون في مناطق الثغور بها^(٣) . ولم يكن الهدف من بناء تلك الثغور في أرمينية وما جاورها ، هو حماية البلاد الإسلامية من خطر الروم فحسب ، بل ومن تهديد بعض القوى الأخرى المعادية للمسلمين في المناطق القوقازية ، وفي البلاد الشمالية المتاخمة لها ، ولا سيّما الخزر ..

وفي أيام الخليفة "المعتصم بالله" عمّر القائد العباسي "الأفشين"^(٤) بلدة "بَرْزَنْد" -

(١) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢١٢ . قدامة بن جعفر : الخراج ، ص ٣٣٤ .

(٢) ابن أَعَثَم الكوفي : كتاب الفتوح - ٠ ط ١ - حيدر آباد ، الدكن ، الهند ، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م ، ج ٨ ، ص ٢٣٢ - ٢٣٣ .

(٣) اليعقوبي : تاريخه - ٠ بيروت : دار صادر ، ج ٢ ، ص ٣٧٢ .

(٤) هو "حيدر بن كاوس" الملقّب بـ «الأفشين» ، قائدٌ عِباسي ، اشتهر بقيادته للجيوش العباسية التي وُجّهت لحرب "بابك الخرمي" في أيام الخليفة "المعتصم بالله" ، وكان له أيضاً دورٌ في الحروب ضدّ الروم . نَقَم عليه "المعتصم" ، وسجنه ، ومات في سنة ٢٢٦ هـ . انظر عنه : (ابن الأثير : الكامل ، ج ٦ ، ص ٤٤٧ - ٤٥١ ، ٤٥٦ - ٤٥٩ ، ٤٦١ - ٤٧٥ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٨٢ - ٤٨٦ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٥٠٥ ، ٥١٠ - ٥١٨) .

وهي من نواحي "تفليس" في بلاد "جُرْزَان" ، والتي يُطلق عليها بعض الجغرافيين اسم "أرمينية الأولى"^(١) - وجعلها معسكراً له . ولم تكن من قبل شيئاً مذكوراً ، بل كانت - كما يذكر "ياقوت الحموي" - موضعاً خرباً^(٢) .

ويبدو أن "بَرْزَنْد" لم تشهد نمواً يستحقّ الذكر في العهود التالية لتشييدها ، فقد أشار الجغرافي "المقدسي"^(٣) - بعد ما يربو على قرن من بنائها - إلى أنها كانت في أيامه بلدة صغيرة .

على أن "ياقوت الحموي" يميل إلى الظنّ بأنّ المدينة التي عمّرها "الأفشين" لم تكن "بَرْزَنْد" ، بل مدينة أخرى تُدعى "بَرْزَنْج" ، من نواحي "أَرَاكَن" - المجاور لإقليم "أرمينية" - على بُعد ثمانية عشر فرسخاً (٤٥ ميلاً) من مدينة "بَرْذَعَة"^(٤) . أو أنّها موضع آخر يُسمّى "بَرْزَنْد" غير "بَرْزَنْد" الواقعة في بلاد "جُرْزَان"^(٥) .

بناء المدن الثغرية في المشرق ونحسينها :

نحسين مدينة "سَمَرْقَنْد" :

على الرغم من اتّساع رقعة المشرق الإسلامي ، ومجاورة المسلمين في أطرافه لعناصر وقوى عديدة، مثل "الترك" و"الديلم" ، إلّا أن اهتمام العباسيين ببناء المدن الثغرية فيه وتحصينها ، لم يكن بحجم اهتمامهم بالشغور المتاخمة للروم البيزنطيين ، ولعلّ ذلك يُعزى إلى ماكانت تشكّله الدولة البيزنطية من تهديد قويّ ومباشر للبلدان الإسلامية في الشام والجزيرة الفراتية ، وإلى استمرار العلاقات المتّسمة بالطابع العدائي بين المسلمين والبيزنطيين في العصر العباسي ..

(١) انظر : ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٨٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٨٢ .

(٣) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم : تحقيق : محمد مخزوم - بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م ، ص ٢٩٠ .

(٤) انظر عن موقع مدينة "بَرْزَنْج" : (ياقوت : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٨٢) .

(٥) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٨٢ .

على أن هذا لا يعني أن المدن الثغرية في منطقة المشرق لم تنل أي عناية من جانب الخلفاء العباسيين ولم تحظَ باهتمامهم ، بل كانت لهم وللبعض ولائهم جهودٌ في تحصينها وترميمها . ففي فجر الدولة العباسية ، وتحديدًا في سنة ١٣٥هـ / ٧٥٢م أمر القائد العباسي الشهير "أبو مسلم الخراساني" ببناء السور الخارجي لمدينة "سَمَرْقَنْد" ^(١) ، وهي إحدى المدن الرئيسة في بلاد "ما وراء النهر" ، وأحد الثغور الإسلامية المواجهة للترك في آسيا الوسطى . وقد بلغ طول سورها سبعة فراسخ ونصف - أي ما يزيد على اثنين وعشرين ميلًا - وقسمه "أبو مسلم" إلى ثلاثمائة وستين قسمًا ، وشيّد لها عددًا من الأبواب والشرفات وأبراجًا للمراقبة ، كان يفصل بين البرج والآخر مسافة مائتي ذراع ^(٢) . وقدر عدد الأبراج بأربعمائة وخمسين برجًا ^(٣) .

ويُفهم من روايةٍ ساقها الجغرافي "الحميري" أن مدينة "سَمَرْقَنْد" كان لها من قبل سورٌ يُحيط بها ، ولكن "أبا مسلم الخراساني" شيّد حولها سورًا آخر ، لتكون أكثر حصانةً وأقوى منعةً ، يقول في هذا الصدد : «ولم يكن لمدينة سَمَرْقَنْد حائطٌ غير سور المدينة ، فلمّا وردّها أبو مسلم بنى حائطًا يُحيط بها ، وعرض سور المدينة خمسون ذراعًا ، وارتفاعه مئة ذراع ، وارتفاع حائط أبي مسلم خمسة عشر ذراعًا ، وعرضه سبعة أذرع ، واستدارته سبعون ألف ذراع ، وعليه ثلاثمائة برج» ^(٤) .

وهكذا بُذلت عناية كبيرة في تشييد سور مدينة "سَمَرْقَنْد" في تلك الفترة المبكرة من العصر العباسي ، وصارت لذلك أصداؤه عند البلدانين المسلمين في العهود التالية ،

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ص ٤٦٤ . بارتولد : تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي ، ترجمه من الروسية إلى العربية : صلاح الدين عثمان هاشم - الكويت ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ص ١٧٢ .

(٢) بارتولد : المرجع السابق ، ص ١٧٢ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٧٢ .

(٤) الروض المعطار ، ص ٣٢٣ .

حيث وصفه بعضهم بأنه «سورٌ عظيم»^(١) ، ولكنه - مع ذلك - لم يُحافظ على قوّته وتماسكه لعهودٍ طويلةٍ ، فقد أُعيد بناؤه في العصر العباسي الأوّل مرّةً أخرى ، وذلك في عهد الخليفة "هارون الرشيد" ، أي بعد ما يُناهز ثُلثي قرن من الزمن فقط . وكان السبب الذي دعا إلى عمرانهِ جلياً ، فقد تعرّض إلى آفةٍ ما أدّت إلى انهدامه في تلك الفترة ، فأعاد "الرشيد" بناءه^(٢) . غير أنّ المصادر التاريخية لم تُفصح عن أسباب انهياره ، كما لم تُشر إلى السنة التي أُعيد فيها بناؤه ..

تجديد بناء "المنصورة" - ثغر بلاد "السند" :

ومن ثغور المشرق التي عُمِّرت في مستهلّ العصر العباسي الأوّل ، مدينة "المنصورة" في بلاد السند ، فقد رُمِّمت في تلك الفترة ، ووُسِّع مسجدها ، على يد والي تلك البلاد من قبَل العباسيين "موسى بن كعب التميمي"^(٣) .

ولم تُحدّد المصادر التاريخية السنة التي تمّ فيها ترميم تلك المدينة وتجديد بنائها ، ولعلّ ذلك قد جرى في أواخر عهد الخليفة "أبي العباس السفّاح" أو أوائل عهد الخليفة "أبي جعفر المنصور" ؛ لأنّ "موسى بن كعب" وليّ على "السند" في سنة ١٣٤هـ / ٧٥١م ، أي قبل عامين من وفاة الخليفة "السفّاح" ، وظلّ والياً عليها حتّى سنة ١٤١هـ / ٧٥٨م^(٤) . و"المنصورة" - كما يصفها بعض الجغرافيين - مدينةٌ عظيمةٌ ، تقع في وسط نهر "مِهْران"^(٥) - الذي يجري في بلاد السند - على هيئة جزيرة ، عامرة كثيرة الخيرات ،

(١) اليعقوبي : كتاب البلدان - ط ٠١ - بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، ص ٦٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٦٠ .

(٣) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٤٣١ . قدامة بن جعفر : الخراج ، ص ٤٢٣ .

(٤) زامبارو : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ؛ ترجمة : زكي محمد حسن ، وآخرين -

القاهرة ، ١٩٥١م ، ص ٤١٥ .

(٥) عن مجرى نهر (مِهْران) وصفته ، انظر : (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٣٢) .

يجتمع فيها التجار^(١) . وتُسمّى بلغة أهل السند «باميران»^(٢) .

وقد اختلف في سبب تسميتها بـ «المنصورة» ، وفي الحقبة التي أسست فيها لأول مرة ، وفي معرفة مؤسسها ، فذهبت بعض الروايات إلى القول بأن هذه المدينة شُيّدت لأول مرة على يد "عمرو بن محمد بن القاسم" ، وهو أحد ولاة بني أمية على بلاد السند في أواخر عهد الخليفة "هشام بن عبد الملك"^(٣) ، وصارت مقراً للولاة المسلمين في تلك البلاد ابتداء من ذلك العهد^(٤) .

وذكرت رواية ثانية أنها بُنيت في أواخر أيام بني أمية ، وأن الذي بناها هو والي الأموي "منصور بن جمهور الكلبي" ؛ ولذا سُميت "المنصورة" نسبةً إليه^(٥) . بينما أشارت رواية ثالثة إلى أن تلك المدينة شُيّدت في مطلع العصر العباسي ، وأن الذي أسسها هو والي "عمر بن حفص بن المهلب"^(٦) ، وعُرفت باسم «المنصورة» لكونها - طبقاً لما تذكره هذه الرواية - أسست في عهد الخليفة "المنصور"^(٧) ! .

ونقف أيضاً على رواية رابعة ساقها بعض الجغرافيين ، وذكروا فيها أن الذي بنى

(١) مجهول : حدود العالم من المشرق إلى المغرب : تحقيق : يوسف الهادي - ط ١ القاهرة : الدار الثقافية للنشر ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م ، ص ٩٥ .

(٢) الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق - بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ، ج ١ ، ص ١٦٩ .

(٣) هو " عمرو بن محمد بن القاسم الثقفي " ، ابن القائد الأموي المشهور " محمد بن القاسم " - فاتح بلاد السند - وُلّي على السند سنة ١٢٢هـ ، وظلّ والياً عليها بضع سنين . انظر : (خليفة بن خياط : تاريخه ، ص ٣٥٤ ، ٣٥٩ ، ٣٦٦ ، زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ، ص ٤١٥) .

(٤) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٤٣١ ، قدامة بن جعفر : الخراج ، ص ٤٢٢ .

(٥) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢١١ .

(٦) هو " عمر بن حفص بن عثمان المهلب " ، من الولاة العباسيين الأوائل ، ولأه الخليفة " أبو العباس السفاح " على البصرة ، والبحرين ، ثم ولّاه الخليفة "المنصور" على البصرة من جديد ، ثم على بلاد السند ، ومن ثم جعله والياً على أفريقية سنة ١٥١هـ ، وبقي فيها حتى استشهد في أثناء بعض الحروب التي نشبت سنة ١٥٤هـ . انظر : (خليفة بن خياط : تاريخه ، ص ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٧ ، ٤٢٠ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ . ابن الأثير : الكامل ، ج ٥ ، ص ٥٠٩ ، ٥٩٥ - ٦٠٠) .

(٧) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢١١ .

مدينة "المنصورة" هو الخليفة "أبو جعفر المنصور" نفسه ، وذلك في صدر خلافته ، ولذا عُرِفَتْ بذلك الاسم نسبةً إليه^(١) .

ومع أن ثمة اتفاقاً بين الروايتين الأخيرتين في تحديد زمن بناء تلك المدينة ، حيث تُشيران إلى أنها أُسِّسَتْ في أيام الخليفة "المنصور" ، إلا أنهما تبدوان بعيدتين عن الصواب ؛ لأنَّ ما ذكرناه لا ينسجم مع ما ساقته الروايات القائلة بأنَّ العباسيين جدّدوا بناءها في أوائل أيام دولتهم ، وأنَّ ذلك قد جرى - في الغالب - بين أواخر عهد الخليفة "السفاح" وأوائل عهد الخليفة "المنصور" ، كما أشرنا إلى ذلك آنفاً ..

وعلى الرغم من أن مدينة "المنصورة" تُعدّ من أشهر مدن السند في تلك العصور ، ومع أنها كانت مقراً للولاة المسلمين في تلك البلاد منذ أواخر العصر الأموي ، ومع أن بعض الجغرافيين وصفها بأنها «مدينة عظيمة»^(٢) ، إلا أنها لم تشهد - فيما يبدو - نمواً واتساعاً كبيراً بعد تجديد بنائها ، فقد أشار الجغرافي "الإصطخري" إلى أن مساحتها كانت تُقدَّر في أيامه (النصف الأوّل من القرن الرابع الهجري) بنحو ميل في ميل^(٣) فقط. وهذه المساحة تبدو محدودة، ولا سيّما إذا ما قورنتُ بمساحة بعض المدن الأخرى الأقل شهرةً منها في تلك الفترة من الزمن . ولعلَّ وجودها في وسط نهر "مهران" على هيئة جزيرة ، كان له أثره في الحيلولة دون اتّساع رقعتها ، حيث كانت مياه النهر تُحيط بها من جميع النواحي. ممّا تجدر الإشارة إليه أن ثمة مدناً عديدةً أُطلق عليها اسم «المنصورة» غير هذه المدينة ، منها مدينة "المنصورة" في البطائح بالعراق ، وقد تأسست في أيام البويهيين . ومدينة "المنصورة" في إقليم خوارزم شرقي نهر "جيحون" . ومدينة "المنصورة" في ولاية إفريقية ، على مقربة من مدينة "القيروان" ، وقد أنشئت سنة ٣٣٧هـ / ٩٤٨م . ومدينة

(١) الإدريسي : نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ١٦٩ . الحميري : الروض المعطار ، ص ٥٤٩ . ابن الوردي : خريدة العجائب وفريدة الغرائب ؛ تحقيق : محمود فاخوري - بيروت : دار الشرق العربي ، ص ٨٧ .

(٢) مجهول : حدود العالم ، ص ٩٥ .

(٣) المسالك والممالك ، ص ١٠٣ .

"المنصورة" في مصر، وقد أسسها السلطان "الكامل بن العادل الأيوبي" سنة ٦١٦هـ / ١٢١٩م. ومدينة "المنصورة" في بلاد اليمن ، وقد أنشأها "سيف الإسلام طُغتكين بن أيوب" (١) .

نَحْصِين مَدِينَةَ "قَرْوَيْنَ" :

تقع مدينة " قَرْوَيْنَ " في أقصى الشمال الشرقي من الإقليم المسمّى بلاد الجبل ، أو إقليم الجبال ، في منطقة المشرق الإسلامي (٢) . وهي مدينة قديمة ، قيل إنّ أول مَنْ استحدثها ملك الفرس "سابور ذو الأكتاف" . وقد افتتحها المسلمون في خلافة "عثمان بن عفّان" رضي الله عنه سنة ٢٤هـ (٣) ، وصارت منذ تلك الفترة ثغراً من ثغور المسلمين المهمة في المشرق ، متاخماً لبلاد "الديلم" (٤) .

وقد اهتمّ الخلفاء العبّاسيّون بمدينة "قَرْوَيْنَ" وحرصوا على استمرارها صامدةً قويّةً أمام الديلم . وكان الخليفة "الهادي" (١٦٩ - ١٧٠هـ / ٧٨٥ - ٧٨٦م) قد سار إليها في أيّام خلافته ، وحينما رآها أدرك حاجتها إلى المزيد من الحصانة والقوّة ، ولذا أمر ببناء حصنٍ فيها ، وسمّاه «مدينة موسى» - نسبةً إليه - وأسكنه مواليه (٥) .

ووفقاً لما يذكره "الرافعي" (٦) فقد كان بناء "مدينة موسى" في سنة ١٦٨هـ ، أو في

(١) انظر : ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢١١ - ٢١٢ .

(٢) انظر عن موقع مدينة " قزوين " : (لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، الخارطة رقم « ٥ » .) .

(٣) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٤٢ - ٣٤٣ .

(٤) عن أهميّة ثغر " قزوين " ، انظر : (الرافعي : التدوين في أخبار قزوين : تحقيق : عزيز الله العطاردي - بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م ، ج ١ ، ص ٣٠ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٨ ، محمد سالم العوفي : دراسة في الثغور الإسلامية «ثغر قزوين» ، بحث منشور في الكتاب السنوي لقسم التاريخ والحضارة ، السنة الأولى ، العدد الأوّل ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، ص ١٩ - ٣٥) .

(٥) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٣١٨ - ٣١٩ . ابن الفقيه الهمذاني : مختصر كتاب البلدان ، ص ٢٥٩ ، الرافعي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٢ - ٤٣ . ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٤٣ . العوفي : المرجع السابق ، ص ٥٢ .

(٦) التدوين في أخبار قزوين ، ج ١ ، ص ٤٣ .

سنة ١٦٧هـ ، وفي هذا القول نظرٌ ؛ لأنَّ "الرافعي" نصَّ على أنَّ الخليفة "الهادي" سار إلى "قَزُون" في أيام خلافته^(١). ومعلومٌ - تاريخياً - أنَّ "الهادي" حكم فيما بين عامي (١٦٩ - ١٧٠هـ) ، ولو صحَّ ما ذكره "الرافعي" من أنَّ تلك المدينة بُنيت في سنة ١٦٧هـ أو ١٦٨هـ ، فهو يعني أنَّ تشييدها كان في آخر سنيِّ خلافة "المهدي" وليس في عهد "الهادي". وتوالى اهتمام العباسيين ببناء مدينة "قَزُون" وتحصينها ، ففي سنة ١٧٦هـ / ٧٩٢م - أي في خلافة "هارون الرشيد" - شيّد رجلٌ من موالى الخليفة "الهادي" يدعى "المبارك التركي" ، حصناً آخر في مدينة "قَزُون" أطلق عليه اسم «مدينة المبارك»^(٢) ، أو «المباركية» كما يُسمِّيها "ياقوت الحموي"^(٣). وقد ظلَّت هذه المدينة قائمةً عامرةً لعهودٍ طويلة ، فقد ذكر "الرافعي" - المتوفى سنة ٦٢٣هـ - أنَّها كانت لا تزال آهلةً في أيامه^(٤). وكان الخليفة "الرشيد" قد سار إلى مدينة "قَزُون" في أثناء فترة خلافته ، وحرص خلال مقامه فيها على الاطلاع عن كثب على أحوالها ، ومعرفة أوضاعها ، وأمر ببناء المسجد الجامع فيها ، ومقصورتها القديمة ، كما أمر بشراء «حوانيت ومستغلات وقفها على مصالح المدينة وعمارة مسجدها وسورها»^(٥).

وفي أثناء وجود "الرشيد" في قَزُون رأى بنفسه حال تلك المدينة وموقف أهلها حينما يتعرَّضون لخطر "الدَّيْلَم" ، فقد صعد في بعض الأيام قبةً على باب المدينة كانت عاليةً جداً ، وأشرف على الأسواق ، ووقع النفير في ذلك الوقت ، فرأى الناس وقد أغلقوا

(١) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٤٢ .

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٣١٩ . الرافعي : التدوين في أخبار قزوين ، ج ١ ، ص ٤٣ . ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٤٣ .

(٣) ياقوت : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٣٤٣ .

(٤) التدوين في أخبار قزوين ، ج ١ ، ص ٤٣ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٤ ، وانظر أيضاً : ياقوت : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٣٤٣ .

دكاكينهم وأخذوا أسلحتهم وحملوا راياتهم وتأهبوا للقتال والدفاع عن مدينتهم ، فأشفق عليهم ، وأدرك ما يُعانونه من خطر في ذلك الثَّغر ، ولذا أمر بإعفائهم من أداء الخراج^(١) .

بناء "فَرَآوَة" و "دِهِسْتَان" :

وفي خلافة "المأمون" بنى "عبد الله بن طاهر بن الحسين"^(٢) - أمير خُرَاسان - بلدةً تُسمَّى "فَرَآوَة" ، وتُعرف أيضاً باسم «رباط فَرَآوَة» ، وذلك في نواحي مدينة "نَسَا" ، بينها وبين إقليم "خَوَارزم"^(٣) . وكانت "فراوة" حينذاك ثغراً من ثغور المشرق ، وقد أشار "السمعاني" إلى ذلك حينما قال - معرِّفاً بها - : «وهي بليدة على الثغر ممَّا يلي خوارزم»^(٤) .

وفي الثلث الأوَّل من القرن الثالث الهجري شيَّد "عبد الله بن طاهر" مدينةً أخرى في بلاد المشرق الإسلامي تُدعى "دِهِسْتَان" ، وتقع في طرف إقليم "مَازَنْدَرَان" ، على مقربة من إقليمي "خَوَارزم" و "جُرْجَان"^(٥) . وكانت "دِهِسْتَان" ثغراً من ثغور المسلمين المواجهة للترك في المشرق الإسلامي ، وظلَّت كذلك حتَّى القرن الرابع الهجري^(٦) .

وقد أشار "السمعاني" في كتابه «الأنساب» إلى بناء "عبد الله بن طاهر" لمدينة

(١) ياقوت : المصدر السابق ، ج٤ ، ص٣٤٣ .

(٢) هو "عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب" ، أحد مشاهير الولاة في العصر العباسي ، وصفه "ابن خُلْكَان" بقوله : «كان سيِّداً نبيلاً عالي الهمة شهماً» ، ولأه الخليفة "المأمون" على الشام ومصر في سنة ٢١١هـ ، ثمَّ وُلِّي على إقليم خراسان سنة ٢١٣هـ ، وبها توفِّي سنة ٢٣٠هـ . (ابن خُلْكَان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : تحقيق : إحسان عباس - بيروت : دار صادر ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ، ج٣ ، ص٨٣ - ٨٩) .

(٣) السمعاني : الأنساب ؛ تحقيق : عبد الله عمر البارودي - ط١ - بيروت : دار الجنان ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، ج٤ ، ص٣٥٦ - ٣٥٧ . ياقوت : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٢٤٥ .

(٤) الأنساب ، ج٤ ، ص٣٥٦ .

(٥) ياقوت : المصدر السابق ، ج٢ ، ص٤٩٢ .

(٦) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص٤٢٠ .

"دهستان"، ولكنه وهم بقوله إن ذلك قد جرى في عهد الخليفة "المهدي" ^(١)؛ لأن "عبد الله ابن طاهر" لم يكن في زمن "المهدي" - كما نبّه إلى ذلك "ياقوت" في معجمه ^(٢) - وإنما كان في أيام "المأمون". بل إنّه لم يولد إلا بعد وفاة الخليفة "المهدي" بثلاثة عشر عاماً، فقد توفي "المهدي" سنة ١٦٩هـ، بينما كانت ولادة "عبد الله بن طاهر" في سنة ١٨٢هـ.

ثغور أخرى في المشرق :

لم ينحصر اهتمام العبّاسيّين بعمران المدن الثغرية في المشرق وتحصينها على المدن السابقة فحسب، بل إن ثمة مدناً ثغرية أخرى بُنيت في العصر العبّاسي الأول، ولكنها لم تكن ذات شهرة واسعة، ولذا لا نقف على معلومات مفصلة عنها عند المؤرخين..

ففي أيام الخليفة "المهدي" افتتح "عمر بن العلاء" إقليم "رؤيان" - وهي جزء من بلاد الديلم - وبنى فيها مدينة لم تُفصح المصادر التاريخية عن اسمها، ونصب فيها منبراً ^(٣). وكان "عمر بن العلاء" هذا قائداً من قوائد العبّاسيين، ولأه "المهدي" على بلاد "طبرستان" فاستُشهد فيها في حدود سنة ١٦٥هـ / ٧٨١م ^(٤).

وفي أطراف إقليم "طبرستان" على حدود الديلم، شُيّدت في أيام الخليفة "المأمون" مدينة ثغرية أخرى تُسمّى "شالوس"، وقد أنفق في بنائها - وفقاً لما يذكره الجغرافي "ابن رسته" - خمسمائة ألف درهم، ووكل بها جند نزلوها. وفي هذه المدينة مسجد جامع ومنبر ^(٥).

(١) السمعاني: الأنساب، ج ٢، ص ٥١٥.

(٢) معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٩٢.

(٣) ابن رسته: الأعلام النفيسة - بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ص ١٣٨، ياقوت:

معجم البلدان، ج ٣، ص ١٠٤.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٣٣٤. الزركلي: الأعلام، ج ٥، ص ٥٤ - ٥٥، وقد ذكر "ياقوت الحموي" هذا

القائد باسم «عمر بن العلاء» (معجم البلدان، ج ٣، ص ١٠٤)، والصحيح أن اسمه «عمر بن العلاء»،

انظر: (البلاذري: المصدر السابق، ص ٣٣٤. ابن رسته: الأعلام النفيسة، ص ١٣٨، الطبري: تاريخ الأمم

والملوك، ج ٨، ص ١٤٩. ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٥٠٧).

(٥) ابن رسته: الأعلام النفيسة، ص ١٣٨ - ١٣٩.

وفي عهد الخليفة " المعتصم بالله " بنى " عمران بن موسى البرمكي " ^(١) مدينةً في منطقة " بُوْقان " في بلاد السُّنْد ، وسَمَّاهَا « البيضاء » ، وأَسْكَنَهَا الجند ^(٢) . وكان "عمران ابن موسى" قد وُلِّيَ على ثغر السند سنة ٢٢١هـ ، وقام بغزوات عديدة ضدَّ بعض القوى المناوئة للمسلمين في تلك البلاد ^(٣) .

بناء المدن الثغرية في الشمال الأفريقي وتحصينها :

كانت المناطق الإسلامية الواقعة في أقصى الشمال الأفريقي ، والمطلَّة على ساحل البحر المتوسط ، معرضة لغزوات الروم البحرية في العصر العباسي ، ولذا حرص بعض الخلفاء العباسيين وولاتهم على عمران بعض المدن المحاذية للبحر وتحصينها ، فكانت هذه المدن بمثابة ثغور بحرية تُسهم في الدفاع عن بلاد المسلمين في تلك الأصقاع ..

ففي سنة ١٨٠هـ / ٧٩٦م بنى "هرثمة بن أعين" -والي أفريقية في عهد الرشيد- ^(٤) رباطاً في الساحل الشرقي لتونس ، لمواجهة خطر الغارات البحرية الرومية . وقد عُرف ذلك الرباط باسم «الْمُنْسْتِير» ^(٥) ، كما سُمِّي أيضاً «القصر الكبير» ^(٦) . ولم يلبث أن

(١) هو "عمران بن موسى بن يحيى بن خالد البرمكي" من أسرة " البرامكة " المشهورة في العصر العباسي ، كان أبوه والياً على بلاد السُّنْد فتوفي فيها سنة ٢٢١هـ ، فولاهُ الخليفة "المعتصم" عليها . توفي في حدود سنة ٢٢٦هـ (البلاذري : فتوح البلدان ، ص٤٢٣ ، ٤٣٢ . الزركلي : الأعلام ، ج٥ ، ص٧١) .

(٢) البلاذري : المصدر السابق ، ص٤٢٣ ، ٤٣٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٤٣٢ .

(٤) "هرثمة بن أعين" ، من ولادة العباسيين وقوادهم ، ولي في خلافة "الرشيد" على عدد من الأقاليم في فترات مختلفة ، منها : أفريقية ، ومصر ، وخراسان . مات في سنة ٢٠١هـ . انظر : (خليفة بن خياط : تاريخه ، ص٤٥٩ ، ٤٦٣ - ٤٦٧ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ . الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء -٠ بيروت : دار مكتبة الحياة ، ص١٧١) .

(٥) انظر عن رباط "المنستير" : (البكري : المسالك والممالك ، ج٢ ، ص٦٩٢ . ابن عذاري المراكشي : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب : تحقيق : ج . س . كولان ، و إ . ليفي بروفنسال -٠ ط٣ - بيروت : دار الثقافة ، ١٩٨٣م ، ج١ ، ص٨٩ . شاکر مصطفى : المدن في الإسلام حتى العصر العثماني -٠ ط٢ - دمشق : دار طلاس ، ١٩٩٧م ، ج١ ، ص٤٧٢) .

(٦) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج١ ، ص٨٩ .

تطور وعظم شأنه ، حيث بنى الناس حوله المنازل ، فأضحى مدينة كبيرة^(١) .

وقد وصف الجغرافي "أبو عبيد البكري" المُنْسْتِيرَ بقوله : «ومن محارس سوسة محرس المُنْسْتِير وبالمُنْسْتِير البيوت والحجر والطواحن الفارسية وموآجل الماء^(٢) ، وهو حصنٌ عالي البناء متقن العمل ، وفي الطبقة الثانية منه مسجدٌ لا يخلو من شيخ خير فاضل ، يكون مدار القوم عليه ، وفيه جماعة من الصالحين والمرابطين قد حبسوا أنفسهم فيه منفردين دون الأهل والعشائر»^(٣) .

وفي السنة نفسها التي شُيِّد فيها رباط "المُنْسْتِير" (١٨٠هـ) حصّن العباسيون أيضاً مدينة "طرابلس" في الشمال الأفريقي ، حيث بنى والي العبّاسي "هرثمة بن أعين" سوراً حول تلك المدينة ، ووفقاً لما تذكره بعض الروايات فقد بُني ذلك السور من الناحية المواجهة للبحر (المتوسط)^(٤) . ممّا يعني أنّ الهدف من بنائه إنّما هو حماية "طرابلس" من غارات الروم البحرية .

وتشير بعض الروايات إلى أنّ مدينة "طرابلس" لم يكن لها سور يحميها قبل تلك الفترة ، وأنها كانت مكشوفة من ناحية البحر ، حتّى إنّ سفن المسلمين حينما فتحوها في عصر الخلفاء الراشدين كانت ترسو بجانب منازلها^(٥) ، وقد ظلت كذلك حتّى بنى "هرثمة ابن أعين" سورها .. ولعلّ قوّة المسلمين في العصرين الراشدي والأموي وكذا أوائل العصر العبّاسي ، قد حال دون تعرّضها لهجمات الروم البحرية ، ومن ثمّ لم يحرص الخلفاء

(١) شاكر مصطفى : المدن في الإسلام ، ج ١ ، ص ٤٧٢ .

(٢) قال "ابن منظور" : «الموَجِل : حفرةٌ يستنقع فيها الماء» ، وتُسمّى أيضاً «الوجيل» . (لسان العرب ، ج ١١ ، ص ٧٢٣) .

(٣) البكري : المسالك والممالك ، ج ٢ ، ص ٦٩٢ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ٦ ، ص ١٣٩ .

(٥) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٥ ، الحميري : الروض المعطار ، ص ٣٩٠ .

وولاتهم على تحصينها بسور يحميها ، وحينما طفقت حملات المسلمين العسكرية تنحسر عن البلاد الرومية ، أضحى معرضة لهجوم الروم ، وصار لزماً أن تُحاط بسور يقيها من أخطارهم ، ولاسيما من ناحية البحر .

ومن الثغور الإسلامية التي عني العباسيون ببنائها وتحصينها في الشمال الأفريقي ، مدينة "تنيس" ، الواقعة في جزيرة قريبة من ساحل البحر المتوسط المحاذي لمصر ، بين "الفرما" و "دمياط" ^(١) . وقد شيد الخليفة "المعتصم" حولها سوراً ، وجعل لها بابين من حديد ^(٢) . وكانت الجزيرة التي تضمها خالية من البناء في أول أمرها ، وحينما فتح المسلمون مصر في سنة ٢٠ هـ كانت "تنيس" «خاصاً من قصب» ، وظلت حتى صدر الدولة الأموية تُعرف بـ «ذات الأخصاص» ، ثم إن أهلها بنوا فيها قصوراً ^(٣) . وأضحى مدينة من المدن ، ولذا اهتم بها العباسيون ، وحرصوا على حصانتها ، وشيد "المعتصم" سوراً لها ..

ثم أعيد بناء سور تلك المدينة في الأعوام التالية ، واستغرق بناؤه سنوات عدة ، حيث ابتدئ بعمرائه في ربيع الأول سنة ٢٣٠ هـ ، في أثناء عهد الخليفة "الواثق بالله" ، وولاية "عيسى بن منصور الخراساني" ^(٤) على مصر ، وانتهى في سنة ٢٣٩ هـ ، في عهد الخليفة

(١) انظر عن موقع مدينة "تنيس" : (ياقوت : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥١) .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٩٦ .

(٣) ياقوت : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٢ .

(٤) ذكر "ياقوت الحموي" أن هذا الوالي اسمه "عيسى بن منصور بن عيسى الخراساني ، المعروف بالرافعي" ، بينما ذكر "الكندي" و"ابن تغري بردي" أن اسمه "عيسى بن منصور الرافعي" ، وهو من ولاية مصر ، وكلي عليها مرتين ، كانت أولهما في خلافة "المأمون" ، من مستهل سنة ٢١٦ هـ ، وحتى أوائل سنة ٢١٧ هـ ، والثانية في خلافة "الواثق بالله" ، وبداية خلافة "المتوكل على الله" ، من شهر المحرم سنة ٢٢٩ هـ ، وحتى ربيع الأول سنة ٢٣٣ هـ ، وتوفي في السنة التي عزل فيها عن ولايته (٢٣٣ هـ) . انظر : (الكندي : ولاية مصر ، ص ٢١٣ - ٢١٦ ، ٢٢١ . ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٥١ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ٢٦٣ - ٢٦٥ ، ٣١٠ - ٣٢١) .

"المتوكل على الله"، وكان والي مصر حينها "عنيسة بن إسحاق الضبي الهروي"^(١). ومن المرجح أن بناء سور المدينة قد توقف خلال تلك السنوات التسع أكثر من مرة، لأسباب غير واضحة، إذ ليس من الطبيعي أن يكون عمرانها متواصلًا ويستغرق كل تلك الحقبة الطويلة، خاصة وأن بناء بعض المدن برمتها قد لا يستغرق نصف تلك المدة. ولعل تغيير الولاية وتعدددهم كان له أثره في توقف البناء، فقد ولي مصر في تلك الفترة الواقعة بين عامي (٢٣٠ - ٢٣٩هـ) سبعة ولاة^(٢). وربما كان وجود تلك المدينة في جزيرة تحيط بها مياه البحر من جميع الجهات، ومن ثم صعوبة إيصال المواد اللازمة للبناء، كان له دوره أيضاً في امتداد فترة إعمار سورها لسنوات عديدة.

"زبيدة بنت جعفر بن المنصور" تسهم في بناء الثغور :

لم يكن اهتمام العباسيين ببناء المدن الثغرية وتحصينها مقتصرًا على الرجال من الخلفاء والولاة فحسب، بل إن بعض النساء الشهيرات من البيت العباسي حرصن على الإسهام في هذا الميدان، فقد ذكرت بعض الروايات أن "زبيدة بنت جعفر بن المنصور" - زوجة الخليفة "هارون الرشيد" وأم الخليفة "الأمين" - شيدت رباطًا في بلدة "بَذْخْشَان"^(٣)، الواقعة في أعلى بلاد "طَخَارِسْتَان"، والمتاخمة لبلاد الترك في أقصى المشرق الإسلامي^(٤). كما بنت فيها حصنًا وصفه "ياقوت الحموي" بأنه «حصن عجيب... قلما رأى الناس مثله»^(٥).

(١) ياقوت : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥١ .

* هو " عنيسة بن إسحاق بن شمر بن عيسى الضبي الهروي " ، ولي على مصر سنة ٢٣٨هـ ، واستمر في ولايته حتى سنة ٢٤٢هـ ، انظر : (الكندي : ولاية مصر ، ص ٢٢٦ - ٢٢٨ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ٣٥٣ - ٣٦٩) .

(٢) انظر عن ولاية مصر في الفترة الواقعة بين عامي (٢٣٠ - ٢٣٩هـ) : الكندي : ولاية مصر ، ص ٢٢٦ - ٢٢٨ .

(٣) ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٦٠ .

(٤) عن موقع "بَذْخْشَان" انظر : (ياقوت : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٦٠) .

(٥) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٦٠ .

وفي منطقة الثغور الشامية بنت "زبيدة" أيضاً حصناً آخر يُعرف بحصن "الإسكندرونة" على ساحل البحر المتوسط، وجدّد بناءه "أحمد بن أبي دؤاد"^(١) في خلافة "الواثق بالله"^(٢) (٢٢٧ - ٢٣٢ هـ / ٨٤١ - ٨٤٦ م).

وتُشير بعض الروايات إلى أنّ "الإسكندرونة" لم تكن مجرد حصن من الحصون ، بل كانت مدينة على ساحل بحر الشام ، تقع إلى الشرق من "أنطاكية" ، وتبعد عنها مسافة ثمانية فراسخ (٢٤ ميلاً)^(٣) . وهي مدينةٌ معروفةٌ في العصر الحاضر ، وموقعها في جنوب غربي تركيا^(٤) .

الخاتمة

وبعد : فقد كشفت هذه الدراسة عن نتائج عديدة ، أبرزها ما يلي :

- تركّزت جهود العباسيّين في بناء المدن الثغرية خلال العصر العباسي الأوّل على منطقتي الثغور الشامية والجزرية ، وذلك لمواجهة لروم البيزنطيين ، الذين كانوا على عدااء شديد مع الدولة العباسية في تلك الحقبة التاريخية .
- كانت بعض المدن الثغرية التي عمّرها العباسيون في العصر الأوّل من تاريخ دولتهم ، قد عمّرت أيضاً في عهد أسلافهم الأمويين ، وبخاصّة في منطقة الثغور الشامية والجزرية ،

(١) هو "أحمد بن أبي دؤاد بن جرير الإيادي" ، وذكره "الذهبي" باسم "أحمد بن فرج الإيادي" ، من القضاة . عاصر من الخلفاء العباسيين "المأمون" و "المعتصم" و "الواثق" ، وكان معتزلياً ، ولذا أثار فتنة القول بخلق القرآن في أيام أولئك الخلفاء ، والتي انتهت في خلافة "المتوكل على الله" . مات في سنة ٢٤٠ هـ . انظر : (الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج ٤ ، ص ١٤١ - ١٥٦ . الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ١١ ، ص ١٦٩ - ١٧١ ، الزركلي : الأعلام ، ج ١ ، ص ١٢٤) .

(٢) ابن العديم : بغية الطلب ، ج ١ ، ص ٢٢٠ . ابن شدّاد : الأعلام الخطيرة ، ج ١ ، القسم الثاني ، ص ١٦٢ . ابن الشحنة : الدرّ المنتخب ، ص ١٨٧ .

(٣) ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٨٢ .

(٤) الموسوعة العربية الميسرة ، ج ١ ، ص ١٥٢ .

ولكنها احتاجت إلى تجديد بنائها ، فجددّها الخلفاء العباسيون ..

- شهدت فترة السنوات الثلاث الواقعة بين عامي (١٣٩ - ١٤١هـ) اهتماماً ملحوظاً من الخليفة العباسي "المنصور" ببناء المدن الثغرية الكبيرة وتحصينها ، فقد عُمِّرت في هذه الفترة القصيرة أربع مدن من أهمّ الثغور الإسلامية المتاخمة لبلاد الروم ، وهي "المصيصة" و"أذنة" و"مَلْطِيَّة" و"قَالِيْقْلَا" . ولعلّ ذلك الاهتمام يُعزى إلى استقرار دعائم الدولة العباسية بعد مضيّ السنوات الأولى من عهد "المنصور" ، وتفرّغه - نسبياً - للعناية بأمر الثغور ..

- كانت أيام الخلفتين "المنصور" و "الرشيد" هي أهمّ فترتين في العصر العباسي الأوّل شهدتا بناء المدن الثغرية وتحصينها ، ولا غرُوهذان الخليفتان هما أعظم خلفاء بني العباس ، فضلاً عن أنّ كليهما حكم فترةً طويلةً تجاوزت العشرين عاماً ، ممّا أتاح لهما القيام بدور فعّال في العناية بالثغور ..

- كانت مدن "المصيصة" و"أذنة" و"طرسوس" أهمّ المدن الثغرية الشامية التي حظيت باهتمام العباسيين وعنايتهم في فترة العصر العباسي الأوّل ، بينما كانت مدن "مَلْطِيَّة" و "مرعش" و "الحّدث" أبرز الثغور الجزرية التي نالت تلك العناية ..

- تبين من خلال هذه الدراسة أنّ بعض المدن الثغرية بُنيت في العصر العباسي الأوّل أكثر من مرّة ، فقد عُمِّرت مدينة "المصيصة" مرّتين ، الأولى في خلافة "المنصور" ، والثانية في خلافة "المهدي" ، كما بُنيت مدينة "أذنة" مرّتين أيضاً ، إحداها في أيام "المنصور" ، والأخرى في نهاية عهد "الرشيد" وبداية خلافة "الأمين" ، وعُمِّرت أيضاً مدينة "مرعش" في عهد "المنصور" ثمّ جُدِّد بناؤها في أيام "الرشيد" ، ومثلها أيضاً مدينة "الحّدث" التي شيدت في خلافة "المهدي" ثمّ أعيد بناؤها في عهد "الرشيد" ، وكذا مدينة "قزوین" التي حُصّنت في خلافة "الهادي" ثمّ في خلافة "الرشيد" ..

- تميّز ثغر "زبطرة" من بين الثغور الإسلامية بأنّه الثغر الوحيد الذي جُدِّد بناؤه في العصر

- العبّاسي الأوّل أربع مركات ، وذلك في عهود "المنصور" و "الرشيد" و "المأمون" و "المعتصم" ، وكان بناء "المعتصم" له مُحكَمًا ، جعله يصمد أمام غارات الروم ..
- لم يقتصر اهتمام العبّاسيّين ببناء المدن الثغرية على الثغور الكبيرة فحسب ، بل إنّه شمل الثغور الصغيرة أيضًا ، مثل مدن "عين زُرّة" و "الكنيسة السوداء" و "كُفْرِيّا" و "الهارونية" في منطقة الثغور الشامية .. و "زِبْطَة" في منطقة الثغور الجزرية .. و "أرجيل الصغرى" و "أرجيل الكبرى" و "بَرْزَنْد" و "كَمْبُخ" و "باب الحديد" و "باب واق" و "باب أرسى" في منطقة الثغور الأرمنية .. و "فَرَاوَة" و "دِهِسْتَان" و "بَذْخْشَان" و "البیضاء" في بلاد المشرق الإسلامي .. و "الْمُسْتِیر" و "تَنِیس" في الشمال الأفريقي ..
- اتّضح من خلال هذه الدراسة أنّ العبّاسيّين لم يُهمّلوا المدن الثغرية النائية ، بل حرصوا على عمرانها وتحصينها ، ومنها "سَمَرْقَنْد" في بلاد ما وراء النهر ، و "المنصورة" في السند ، و "الْمُسْتِیر" في شرقي تونس ، في منطقة الشمال الأفريقي ..
- لم تكن للعبّاسيّين جهودٌ كبيرةٌ في بناء الثغور البحريّة ، الواقعة على سواحل البحر المتوسط ، ولم يتجاوز نشاطهم في هذا الميدان تحصين عدد يسير من المراكز الثغرية ، رغم طول تلك السواحل وكثرة البلدان المطلّة عليها ، ولعلّ ذلك يُعزى إلى أنّ التهديد البيزنطي البحري للبلاد الإسلامية في تلك العهود لم يكن يُماثل في شدّته وخطورته تهديدهم للمناطق البريّة .. هذا فضلاً عن أنّ الحملات العسكرية الإسلامية الموجهة صوب الأراضي البيزنطية ، والمعروفة بـ «الصوائف والشواتي» كانت توجّه عبر المناطق البريّة غالبًا ، الأمر الذي قاد إلى اهتمام العبّاسيّين بعمران الثغور البريّة المتناثرة فيها أكثر من اهتمامهم بالثغور البحرية ..
- تبيّن من خلال هذه الدراسة أنّه في الوقت الذي كان العبّاسيّون فيه يشيّدون المدن في مناطق الثغور الشامية والجزرية ، كان الروم ينتهزون الفرص ليس لمهاجمتها فحسب وإنّما لهدمها أيضًا ، وقد تمكّنوا خلال العصر العبّاسي الأوّل من هدم عدد من المدن ، ممّا

اضطرَّ العباسيون لإعادة إعمارها ، ومن تلك المدن : مَلْطِيَّة ، والحَدَث ، وزِبْرَةَ ، وَقَالِقْلَا ..

- كان لـ "زبيدة بنت جعفر بن المنصور" - زوجة الخليفة "الرشيد" ، وأمّ الخليفة "الأمين" - إسهامٌ في الجهود التي بذلها العباسيون في بناء المدن الثغرية وتحصينها ، حيث شيدت رباطاً في بلدة "بَذَخْشَان" في المشرق ، وبنّت فيها حصناً ، كما شيدت حصناً آخر يُعرف بحصن "الإسكندرونة" على ساحل البحر المتوسط ، في منطقة الثغور الشاميّة ..

ملحق بأسماء خلفاء العصر العباسي الأوّل

(١٣٢ - ٢٣٢هـ / ٧٤٩ - ٨٤٦م)

- (١) أبو العباس السفّاح (١٣٢ - ١٣٦هـ / ٧٤٩ - ٧٥٣م) .
- (٢) أبو جعفر المنصور (١٣٦ - ١٥٨هـ / ٧٥٣ - ٧٧٥م) .
- (٣) محمد المهدي (١٥٨ - ١٦٩هـ / ٧٧٥ - ٧٨٥م) .
- (٤) موسى الهادي (١٦٩ - ١٧٠هـ / ٧٨٥ - ٧٨٦م) .
- (٥) هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣هـ / ٧٨٦ - ٨٠٩م) .
- (٦) محمد الأمين (١٩٣ - ١٩٨هـ / ٨٠٩ - ٨١٣م) .
- (٧) عبد الله المأمون (١٩٨ - ٢١٨هـ / ٨١٣ - ٨٣٣م) .
- (٨) محمد المعتصم بالله (٢١٨ - ٢٢٧هـ / ٨٣٣ - ٨٤١م) .
- (٩) هارون الواثق بالله (٢٢٧ - ٢٣٢هـ / ٨٤١ - ٨٤٦م) .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر :

- ابن الأثير ، عزّ الدين أبو الحسن علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م) :
- **الكامل في التاريخ** -٠ بيروت : دار صادر ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
الإدريسي ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس (ت في حدود سنة ٥٦٠هـ / ١١٦٥م) :
- **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** -٠ بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .
الأزدي ، أبو زكريّا يزيد بن محمد بن إياس (ت ٣٣٤هـ / ٩٤٥م) :
- **تاريخ الموصل** ؛ تحقيق : د . علي حبيبة -٠ القاهرة ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .
الإصطخري ، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م) :
- **المسالك والممالك** ؛ تحقيق : د . محمد جابر عبد العال الحيني -٠ القاهرة ، ١٣٨١هـ / ١٩٦١م .
الأصفهاني ، حمزة بن الحسن (ت ٣٦٠هـ / ٩٧٠م) :
- **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء** -٠ بيروت : دار مكتبة الحياة .
البكري ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) :
- **المسالك والممالك** ؛ تحقيق : أدريان فان ليوفن ، وأندري فيري -٠ تونس : الدار العربية للكتاب ، ١٩٩٢م .
البلاذري ، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م) :
- **فتوح البلدان** ؛ تحقيق : رضوان محمد رضوان -٠ بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) :

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ؛ تحقيق : محمد حسين شمس الدين - ط ١ - بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .
- الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م) :
- معجم البلدان - بيروت : دار صادر ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
- الحميري ، محمد بن عبد المنعم (ت بعد سنة ٧٠٠هـ / ١٣٠٠م) :
- الروض المعطار في خبر الأقطار ؛ تحقيق : د . إحسان عباس - ط ٢ - بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٨٤م .
- ابن حوقل ، أبو القاسم محمد بن علي (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م) :
- كتاب صورة الأرض - بيروت : دار مكتبة الحياة ، ١٩٧٩م .
- ابن خرداذبة ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت في حدود سنة ٢٨٠هـ / ٨٩٣م) :
- المسالك والممالك - لندن ، ١٨٨٩م .
- الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) :
- تاريخ بغداد - بيروت : دار الكتب العلمية .
- ابن خلكان ، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م) :
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ؛ تحقيق : د . إحسان عباس - بيروت : دار صادر ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .
- ابن خياط ، أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي العُصْفري (ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م) :
- تاريخ خليفة بن خياط ؛ تحقيق : د . أكرم ضياء العمري - ط ٢ - بيروت : دار القلم ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .

- الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) :
- سير أعلام النبلاء : تحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخرين - بيروت : مؤسسة الرسالة.
- الرافعي ، عبد الكريم بن محمد (ت ٦٢٣هـ / ١٢٢٦م) :
- التدوين في أخبار قزوين : تحقيق : عزيز الله العطاردي - بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .
- ابن رسته ، أبو علي أحمد بن عمر (القرن الثالث الهجري - التاسع الميلادي) :
- الأعلاق النفيسة - بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
- الزبيدي ، محب الدين محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق (١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م) :
- تاج العروس من جواهر القاموس : تحقيق : علي شيري - بيروت : دار الفكر ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .
- السمعاني ، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت ٥٦٢هـ / ١١٦٧م) :
- الأنساب : تحقيق : عبد الله عمر البارودي - ط ١ - بيروت : دار الجنان ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
- ابن الشحنة ، أبو الفضل محمد بن محمد (ت ٨٩٠هـ / ١٤٨٥م) :
- الدرّ المنتخب في تاريخ مملكة حلب - دمشق: دار الكتاب العربي، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- ابن شدّاد ، عزّ الدين محمد بن علي بن إبراهيم (ت ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م) :
- الأعلاق الخطيرة في ذكرّ أمراء الشام والجزيرة : تحقيق : يحيى زكريّا عبّارة - دمشق، ١٩٩١م .
- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م) :
- تاريخ الأمم والملوك : تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم - بيروت: دار سويدان .

- ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) :
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ؛ تحقيق : علي محمد معوض ، وعادل أحمد عبد الموجود - بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .
- ابن العديم ، كمال الدين عمر بن أحمد (ت ٦٦٠هـ / ١٢٦٢م) :
- بغية الطلب في تاريخ حلب ؛ تحقيق : د . سهيل زكار - بيروت : دار الفكر .
- ابن عذاري المراكشي ، أبو العباس أحمد بن محمد (ت بعد ٧١٢هـ / ١٣١٢م) :
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ؛ تحقيق : ج . س . كولان ، و إ . ليفي بروفنسال - ط ٣ - بيروت : دار الثقافة ، ١٩٨٣م .
- ابن الفقيه الهمداني : أبو بكر أحمد بن محمد (ت في النصف الأول من القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي) :
- مختصر كتاب البلدان - ط ١ - بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
- قدامة بن جعفر ، أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد (ت في النصف الأول من القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي) :
- الحراج وصناعة الكتابة ؛ تحقيق : محمد حسين الزبيدي - بغداد : دار الرشيد ، ١٩٨١م .
- القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م) :
- آثار البلاد وأخبار العباد - بيروت : دار بيروت ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
- ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) :
- البداية والنهاية ؛ تحقيق : د . أحمد أبو ملحم وآخرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- الكندي ، أبو عمر محمد بن يوسف (ت ٣٥٠هـ / ٩٦١م) :
- ولاية مصر ؛ تحقيق : د . حسين نصار - بيروت : دار صادر .

- الكوفي ، أبو محمد أحمد بن أعثم (ت ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م) :
- كتاب الفتوح - ط ١ - . الهند : حيدر آباد ، الدكن ، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م.
- المتنبي ، أبو الطيّب أحمد بن الحسين (ت ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م) :
- ديوانه - . بيروت : دار صادر .
- مجهول ، (القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي) :
- حدود العالم من المشرق إلى المغرب : تحقيق : يوسف الهادي - ط ١ - . القاهرة :
- الدار الثقافية للنشر ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م .
- المقدسي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م) :
- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم : تحقيق : د . محمد مخزوم - . بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م .
- ابن منظور ، أبو الفضل محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م) :
- لسان العرب - . بيروت : دار صادر .
- النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهّاب (ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م) :
- نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ٢٢ : تحقيق : د . محمد جابر عبد العال الحيني - . القاهرة ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .
- ابن الوردي ، سراج الدين أبو حفص عمر (ت ٨٦١ هـ / ١٤٥٧ م) :
- خريدة العجائب وفريدة الغرائب : تحقيق : محمد فاخوري - . بيروت : دار الشرق العربي .
- اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح (ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م) :
- تاريخه - . بيروت : دار صادر .
- كتاب البلدان - ط ١ - . بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

ثانيًا : المراجع :

بارتولد ، ف .

- تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي ؛ ترجمه من الروسية إلى العربية : صلاح الدين عثمان هاشم . - الكويت ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

الجنزوري ، د . علية عبد السميع :

- الثغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية في العصور الوسطى . - القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٩م .

الخطيب ، مصطفى عبد الكريم :

- معجم المصطلحات والألقاب التاريخية . - ط ١ . - بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .

زامباور ، إدوارد فون :

- معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ؛ ترجمة : د . زكي محمد حسن ، وآخرين . - القاهرة ، ١٩٥١م .

الزركلي ، خير الدين :

- الأعلام . - ط ٥ . - بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٠م .

عبد الله ، د . وديع فتحي :

- العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامي . - الإسكندرية ، ١٩٩٠م .

عثمان ، د . فتحي :

- الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري . - القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦م .

العوفي ، د . محمد سالم :

- دراسة في الثغور الإسلامية « ثغر قزوين » ، بحث منشور في الكتاب السنوي لقسم التاريخ والحضارة ، السنة الأولى ، العدد الأول ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

لسترنج . كي :

- بلدان الخلافة الشرقية : ترجمة : بشير فرنسيس ، وكوركيس عوآد - ط ٠٢ - بيروت : مؤسّسة الرسالة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

مصطفى ، د . شاكر :

- دولة بني العبّاس - ط ١ - الكويت ، ١٩٧٣ م .

- المدن في الإسلام حتى العصر العثماني - ط ٠٢ - دمشق : دار طلاس ، ١٩٩٧ م .

المنجد ، د . صلاح الدين :

- معجم بني أميّة - ط ١ - بيروت : دار الكتاب الجديد ، ١٩٧٠ م .

- الموسوعة العربية الميسّرة - بيروت : دار نهضة لبنان ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

نوري ، موفق سالم :

- العلاقات العبّاسية البيزنطية - بغداد ، ١٩٩٢ م .